موقف الفقهاء القُدامى والمُعاصِرين من التَصوّفِ والصّوفيّة

The position of ancient an contemporary jurists on Sufism and its people

إعداد

مادح خالد مصطفي المفتي

Preparation

Madih Khalid Mustafa al-Mufti,

Iraq / Sulaymaniyah Governorate

ملخَّص البَحث

تحدّثتُ في هذا البحث عن موقف أئمة أهل السنة والجماعة من التصوف والصوفية، بدأً بأئمَّةِ المذاهب الأربعة (رضي الله عنهم)، ثم ذكرتُ آراء نخبة من الفقهاء الأعلام المشهورين الذين جاؤوا من بعدهم، أمثال: الإمام الغزالي والنووي، والسيوطي، وذكرتُ كذلك موقف المنصفين من العلماء والفقهاءِ غير المشهورين بانتمائهم إلى التصوف من هذا العلم الشريف وأهله، أمثال: الإمام ابن تيمية، وابن القيّم، والشاطبي، مع سردِ أقوالِ بعض العلماء المعاصرين وموقفهم تجاه علم التصوف والصوفية، أمثال، الإمام النورسي، والشعراوي والندوي، (رحمهم الله جميعاً) ثم أنهيتُ البحث بخاتمة وفهرَسٍ للمصادر والمراجع، وبالله تعالى التوفيق، وله الحمد أولاً وآخرا.

Summary of the research:

In this research, I talked about the position of the Imams of Ahl al-Sunnah wal-Jama'ah on Sufism and its people, starting with the Imams of the four schools of thought (may Allah be pleased with them), then I mentioned the opinions of a group of famous and prominent jurists who came after them, such as: Imam al-Ghazali, al-Nawawi, and al-Suyuti, and I also mentioned the position of the fair-minded scholars and jurists who are not famous for their affiliation with Sufism on this noble science and its people, such as: Imam Ibn Taymiyyah, Ibn al-Qayyim, and al-Shatibi, with a narration of the sayings of some contemporary scholars and their position towards the science of Sufism, such as Imam al-Nursi, al-Sha'rawi, and al-Nadwi (may Allah have mercy on them all). Then I ended the research with a conclusion and an index of sources and references, and success is from Allah Almighty, and praise be to Him first and last.

مقدمة

الحمد للّه رب العالمين، جعل العلماءَ ورثةَ الأنبياءِ، والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى سيّدنا حضرة محمد سيد المرسلين والأنبياء، وعلى آله وصحبه البرَرَةِ الأتقياء، وأولياء أمته السادات الأوفياء الأصفياء . أما بعدُ:

فإنَّ من نِعَمِ اللّه تعالى على هذه الأمَّة الإسلامية، أنْ قيَّضَ لها علماءَ أجلاَّءَ عملوا بكل جدٍّ وإخلاص وإتقان، على حفظ مصادر هذه الشريعة الغرَّاء من التَّلاعب والعَبَث، تفقهوا في الدّين وجاهَدوا واجتهَدوا، فتح اللّهُ بصيرتَهم، وتعمّقوا في جميع المسائل، وأفتوا فيها بما فتح اللّه عليهم من العلوم، وعرّفهم اللّه تعالى بالأولياء العارفين والعلماء الرّبانين في عصرهم، ونهلوا من علومهم المعنوية وأضافوها إلى علومهم الظاهرة المكتسبةِ وصاروا منهم، وحصلوا بذلك على علمي الظاهر والباطن، فكانوا ذي الجناحين، ولولاهم لضلَّ الناس بعد الهداية، وعندما سئلوا عن مسلك الصوفية وعلم التصوّف، كانوا على دراية تامة بالموضوع، لأنهم أنفسهم كانوا من الزاهدين الوارعين العارفين، وذا بصيرة نافذة، يدركون حقائق الأشياء سريعاً، ويلهمهم اللّه الصواب ويكشف عن قلوبه الحجاب، فبعدما حققوا ودقّقوا في مسلك الصوفية وعلومهم، علموا بأن علم التّصوف هو علم التزكية والأخلاق، المأمور بهما في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فشجعوا الناس على التمسّك بطريقهم والدخول في طريقتهم، حيث قال الإمام الغزالي» الدُّخول مع الصّوفية فرض عين لأنه لا يخلو أحدُ من عيب إلا الأنبياء»[1]، لذلك أردنا أن نتحدّث عن موقف وآراء الأئمة والفقهاء تجاه التصوّف والصّوفية، فوقع الاختيار على هذا الموضوع وسميناه: (موقف الفقهاء القدامى والمعاصرين من التّصوف والصّوفية)، لعلنا نستطيع أن نُبيِّن موقفهم في هذا البحث المتواضع عسى أن يُستفاد منه. وهنا ينبغي أن نُشير عدّة أُمور:

الأمر الأول : اختيار الموضوع . فمما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع :

أولا: لابد أن نعرّفَ هذا الجيل بعلم التّصوف وبأقوال الفقهاء في الصوفيّة، حتى لا يقعوا في شراكِ أعداء أهل السنة والجماعة الجاهلين بأحوالهم، الذين يفترون على الصوفية ويقولون بأنهم

(١) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ ، ٣:٢٨٥. و النصرة النبوية على هامش الرائية للفاسي، ص:٢٦، وشرح الحكم، لابن عجيبة، ١: ٧.

قبوريون، مشركون،(معاذ الله) أي: يعبدون القبور وساكنيها من دون الله، وهذا افتراء عظيم قد ضلوا بسبب هذه الإفتراآت، وزلّت أقدام أقوامٌ بتصديقهم لهم.

ثانياً: كثيراً ما نقرأ أو نسمع بسيرة الأولياء السابقين، وأخلاقهم الزّكية، وكراماتهم الكثيرة، وصفاء قلوبهم، وخوارقهم العجيبة، وتصرفاتهم الرّوحية، وعلومهم النافعة، وطبابتِهم للقلوب والاجساد، أو نسمع بذلك في الخطب والمواعظ، وقلّ جداً أن نرى في زماننا أمثال هؤلاء ومن يسلك مسلكهم، ولكنّنا نرى مدَّعي المشيخة والولاية والكرامة، فإذا اطلعنا على أقوال الفقهاء بشأن حقيقة التصوف، وبشأن الصوفيين الحقيقيين والمشايخ الكاملين، لم نقع في شِباك هؤلاء البعيدين عن أخلاق الصوفية، الذين لم يذوقوا حلاوة الأيمان، فضلاً عن تزكية النفوس وبلوغ المقامات ومرتبة الإحسان.

ثالثاً: من المعلوم أن الأولياء موجودون في كل زمان، وأنهم متخلّقون بأخلاق المصطفي(ﷺ) سيّد الأكوان، سائرون على منهج صحبهِ، مُتّبعون لشريعته، فأن طائفة من أمة الحبيب(ﷺ) لا يزالون ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، كما أخبر بذلك الحبيب(ﷺ) [1]، ومن اتّبع مناهج هذه المشايخ الصادقين، فلا شك أنّه يكون ضمن الفرقة الناجية المنصورة، لذلك كان حرياً بنا أن نشير إلى إقوال الفقهاء القدامى والمعاصرين حتى نجد ذلك المنهج الصحيح، ولاشك أن منهج الصحابة والتابعين والمشايخ والأولياء الكاملين، والصوفيين البارزين، هو هذا المنهج القويم، كما صرّح الإمام الغزالي بذلك فيما سيأتي.

الأمر الثاني: الدّراسات السابقة: بالرّغم من البحث الحثيث لم أجد دراسة أكاديمية في هذا الموضوع، وإنما وجدت أبحاثاً متفرقة في كتب متفرقة، حيث قام بعض المصنّفين بالإشارة إلى بعض ماذكرناه، ولم يُكتب بشكل منتظم، وماكتب لايشبه الرسائل العلمية العصرية، لذلك فقد وقع الإختيار على هذا الموضوع .

الأمر الثالث : أهمية البحث : تأتي أهمية البحث مِن زوايتين رئيسيّتين:

الزاوية الاولى: من الضروريّ جداً أن نتعرّف على أقوال أئمة المذاهب الأربعة في التصوف والصوفية، وكذلك الفقهاء الأعلام الذين أتوا من بعدهم بإحسان، وكذلك العلماء الذين عاصرناهم،

---

(١) اشارة الحديث الصحيح الذي روي بطرق، ومنها ما رواه الامام ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ -عزوجل- لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا)). سنن ابن ماجة ،لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، (د.ت)، عدد الأجزاء: ٢ .١: ٥

حتى يتبين للجيل الجديد حقيقة الصوفية، ويتبيّن أنّهم هم الماضون على منهاجِ أهل السنة والجماعة، المتمسّكون بالكتاب والسنة، وأنهم الخَلفُ الصالح للسلفِ الصالح من الصحابة والتابعين، شأنهم في تصفية قلوبهم وتزكية نفوسهم، وفي نشر الأسلام والدفاع عن المسلمين، شأن المجاهدين البرَرة من الصّحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

الزاوية الثانية : في هذا العصر الذي طغى فيه عالم المادّةِ على عالم المعنى، بحيث يكادُ يندرسُ الجانب الرُّوحي والعرفاني، مما أدى ذلك ظهور تياراتٍ متطرفة، فمن اجل ردّ الاعتبار اللازم للجانب المعنوي والرّوحي، كان حَرياً بنا أن نشير إلى منهج الصّوفية الذين ورثوا العلم والتزكية من الحبيب المصطفي (ﷺ)، عن طريق خلفاءه الرّاشدين وأصحابه النجباء الميامين، ونتحدّث عن موقف العلماء والفقهاء تجاههم في كل العصور، وإبراز آرائهم، ليدرك شبابنا أن التصوف علم شريف، وأنَّ مداره على اتباع الكتاب والسنة، كما صرّح بذلك الإمام السيوطي(رضي الله عنه)، وأن الصوفية الحقيقيون هم السالكون لطريق الأصحاب المتخلقون، بأخلاق المصطفي،(ﷺ) كما قاله الإمام أبو حامد الغزالي (رضي الله عنه) فيما سيأتي.

الأمر الرابع : منهجي في كتابة هذا البحث :

قد سلكتُ المناهج العلمية المعتبرة والمعترفة بها لكتابة البحوث العلمية، واعتمدتُ على أهم القواعدَ والضّوابط العلميَّة المعروفة والمتَّبعة في الجامعات، أذكر هنا أهم ما أنجزته وعملته بإيجاز:

١. تقديم اسم المؤَلِّفِ والمصنَّف على المولِّف، واختيار نوع الخط وحجمه في الصلب والهامش، وتباعد الاسطر وتباعد الصفحة من الجهات الاربعة بالقياسات المطلوبة، وترك فراغ بمسافة خمسة نقاط للبدأ بالسطر، كل ذلك وغيرها كانت من المناهج المتبعة المعروفة.

٢. استخدمت بعض الرموز للاختصار، مثل استخدام حرف التاء هكذا: (ت:) بدلا من كلمة (المتوفى) وحرف الواو بدلا من (ولد)، وحرف الطاء بدلا من الطبعة مع الرقم، إما الطبعة الأولى فلم أكتبها لأنها الغالب بل كتبت من الثانية فما قوق، وكتبت سنة الطبع، و (د.ت) بدلاً من بدون تأريخ، وكتبت تواريخ السنين بالأرقام بدلا من الكتابة، واكتفيت باحد التاريخين أحياناً، ورمزت بـ حرف (هـ) بدلا من الهجري وبـ (م) بدلا من الميلادي.

٣. توضيح النَّص بما يتطلّبُه الخط العربي من علامات الترقيم، والتنقيط، والرّموز والعلامات الدالّة على الوقف والابتداء، والاستفهام والتعجب، وغيرها من الأمور المعتمدة في البحث العلمي.

٤.العبارات المتكرّرة مثل عبارة: (ﷺ)، وعبارة: الترضّي: (رضي الله عنه) وعبارة الترحُّم: (رحمه الله)، جعلتها

بين الأقواس لا الشوارط، لعدم اعتبارها من الجمل المعترضة آخذا بذلك المنهج. وصغرتها غالباً مثل(ﷺ)، و(ﷺ)، أما الجُمَل الاعتراضيّةُ فقد وضعتها بين الشوارط هكذا: - الجملة الاعتراضية - ..

٥ .. وضعت علامة التنصيص عند أقوال المشايخ والعلماء - إذا كانت بالنص - بين قوسين صغيرين. أما إذا كانت الاقوال مترجمة من لغة أخرى ولم تكن بالنص فاكتفيت بنقطتين شارحتين. واستخدمت القوصين الزهراويين للآيات القرآنية وغيّرت الخط.

٦. كتبت بطاقة المؤلفات بالكامل (كاسم المحقق وعدد الطبعة ـ إن لم تكن الاولى ـ ومكانها وتاريخها إن وجد)، في أول ورود لها، أما للمرّة الثانية والثالثة فاكتفيت بذكر اسم الكتاب والمؤلف ملخصا مع رقم الجزء والصفحة.

٧.عملتُ ملخّصاً في بداية البحث باللغتين العربية والانكليزية. وبذلك فالمظنون إني عملت اللازم في كتابة هذا البحث، ولا تخلو كتابة عن سهو أو نسيان، والله تعالى هو الموفّقُ والمستعان.

الأمر الخامس: خطة البحث:

كانت الخطّة على النحو الآتي: اشتمل البحث على مقدمة علمية ومبحثين وكل مبحث يحتوي على مطلبين، ثم أنهيته بالخاتمة والفهرس. تحدّثتُ في المبحث الأول عن موقف الأئمّة الأربعة ـ الإمام ألأعظم والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل، (رضي الله تعالى عنهم)، تجاه التصوّف والصوفية، ثم ذكرت أقوال وأراء نخبة من الفقهاء، وهم: الإمام عبدالقاهر البغدادي، والإمام الغزالي، وسلطان العلماء، والنووي، والسُّبْكي، والفخر الرّازي، والشعراني، والسيوطي، في الصوفية، أما في المبحث الثاني فقد ذكرت أراء بعض العلماء غير المشهورين بالصّوفية في الصوفية، أمثال ابن تيميّة الحرّاني وابن القيم، والإمام الشاطبي(رحمهم الله)، ونقلت بعد ذلك شهادات أبرز العلماء المعاصرين في التصوف، وتأثير الصّوفيةِ على العالم الاسلامي. كالإمام النورسي ومحمد عبده، والشعراوي، والندوي،(رحمهم الله) ثمَّ أنهيته بخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع، وبالله تعالى التوفيق، وله الحمد تعالى. ... (الباحث)

موقف الفقهاء القدامى والمعاصرين من التصوّف والصّوفية

المبحث الأول : موقف الأئمة الأربعة والفقهاء القدامى من التصوّف والصّوفيّة.

المطلب الأول: موقف أئمة المذاهب الأربعة من التصوف والصوفية.

في هذا المطلب نذكر آراء أئمة المذاهب الأربعة، المعتبرة لدي أهل السنة والجماعة المدوّنةِ مذاهبهم، وموقفهم تجاه علم التصوف والصوفية.

أولاً: **الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت** [١]، (ﷺ) (ت: ١٥٠هـ).

لقد أشار الإمام الفقيه علاء الدين الحصكفي إلى تصوّف الإمام أبي حنيفة (ﷺ)، وأنه كان شيخ الصوفية في زمانه، وكان يُجيز طلابه بالعلم والطريقة، حيث قال:» وَقَدْ قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ فِي رِسَالَتِهِ مَعَ صَلَابَتِهِ فِي مَذْهَبِهِ وَتَقَدُّمِهِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : [٢]» سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق، يقول: أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصراباذي، وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي، وهو أخذها من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي وهو من داود الطائي، [٣] وهو أخذ العلمَ والطريقةَ من أبي حنيفة، وكل منهم أثنى عليه وأقر

---

(١) هو الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه، ولد سنة: ٨٠ هـ، وتوفي ببغداد سنة : ١٥٠هـ، وهو ابن سبعين سنة. قال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلاً لو كلمك في هذه الساريةِ أن يجعلها ذهباً لقام بحجته، وروى حرملة أيضاً قال: سمعت الشافعي ﷺ يقول: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال علي أبي حنيفة. ينظر: طبقات الفقهاء، لأبي اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، (ت: ٤٧٦هـ) ، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، (ت: ٧١١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ، سنة الطبع : ١٩٧٠م، ص: ٨٦.

(٢) شرح الامام الفقيه ابن عابدين الحنفي هذه العبارة فقال:» قَوْلُهُ: (أَبُو الْقَاسِمِ) تِلْكَ كُنْيَتُهُ وَاسْمُهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازِنَ، الْحَافِظُ الْمُفَسِّرُ الْفَقِيهُ، النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ الْأَدِيبُ الْكَاتِبُ الْقُشَيْرِيُّ، الشُّجَاعُ الْبَطَلُ، لَمْ يَرَ الرَّاءُونَ مِثْلَهُ، كان جَامِعاً لِأَنْوَاعِ الْمَحَاسِنِ. وُلِدَ سَنَةَ: ٣٧٧هـ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ الإمام الْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ. وَرَوَى عَنْهُ الْخَطِيبُ وَغَيْرُهُ، وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ الشَّهِيرَةَ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ: ٤٦٥هـ عَنْ الزَّرْقَانِيِّ عَلَى الْمَوَاهِبِ. وقَوْلُهُ: (فِي رِسَالَتِهِ) أَيْ الَّتِي كَتَبَهَا إلى جَمَاعَةِ الصُّوفِيَّةِ بِبُلْدَانِ الْإِسْلَامِ سَنَةَ: ٤٣٧هـ، ذَكَرَ فِيهَا مَشَايِخَ الطَّرِيقَةِ وَفَسَّرَ أَلْفَاظًا تَدُورُ بَيْنَهُمْ بِعِبَارَاتٍ أَنِيقَةٍ. (وَلُهُ: (مَعَ صَلَابَتِهِ) أَيْ قُوَّتِهِ وَتَمَكُّنِهِ، وقَوْلُهُ: (فِي مَذْهَبِهِ) وَهُوَ مَذْهَبُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ﷺ، أَوْ طَرِيقَةُ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ». رَدّ المحتار على الدرّ المختار، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، (ت: ١٢٥٢هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (وصورتها دار الفكر - بيروت)، ط: ٢، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م، عدد الأجزاء: ٦. ١: ٦٠.

(٣) يترجم الإمام ابن عابدين لهؤلاء السادة ملخصاً فيقول:» وَأَبُو عَلِيٍّ هُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ. وَأَبُو الْقَاسِمِ: هُوَ إبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّصْرَابَاذِيُّ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ شَيْخُ خُرَاسَانَ، جَاوَرَ بِمَكَّةَ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ: ٣٥٧هـ . وَالشِّبْلِيُّ هُوَ الْإِمَامُ أَبُو

بفضله [١]، ثم يقول الإمام الحصكفي تعليقاً على قول الإمام القشيري:» فعجبا لك يا أخي: ألم يكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السّادات الكبار؟ أكانوا مُتَّهمين في هذا الاقرار والافتخار، وهم أئمة هذه الطريقة، وأرباب الشريعة والحقيقة، ومن بعدهم في هذا الامر فلهم تبع، وكل ما خالف ما اعتمدوه مردود ومبتدع» [٢].

ثم يعلق الإمام ابن عابدين على الموضوع ويترجم للإمام أَبِي حَنِيفَةَ فيقول:

«هُوَ فَارِسُ هَذَا الْمَيْدَانِ، فَإِنَّ مَبْنَى عِلْمِ الْحَقِيقَةِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَتَصْفِيَةِ النَّفْسِ، وَقَدْ وَصَفَهُ بِذَلِكَ عَامَّةُ السَّلَفِ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي حَقِّهِ: إنَّهُ كَانَ مِنْ الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ وَإِيثَارِ الْآخِرَةِ بِمَحَلٍّ لَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يُقْتَدَى بِهِ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ إمَامًا تَقِيًّا نَقِيًّا وَرِعًا عَالِمًا فَقِيهًا، كَشَفَ الْعِلْمَ كَشْفًا لَمْ يَكْشِفْهُ أَحَدٌ بِبَصَرٍ وَفَهْمٍ وَفِطْنَةٍ وَتُقًى. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ لِمَنْ قَالَ لَهُ جِئْتُ مِنْ عِنْدِ أَبِي حَنِيفَةَ، قال: لَقَدْ جِئْت مِنْ عِنْدِ أَعْبَدْ أَهْلِ الْأَرْضِ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا نَقَلَهُ ابْنُ حَجَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ الْعُلَمَاءِ الْأَثْبَاتِ»[٣]،.

كل ما أسلفنا كانت أدلة قوية لا يحتمل الشَّك على تصوف هذا الإمام الجليل ـ أبو حنيفة النعمان ـ ،(ﷺ) واذا كانت الأئمة الآخرون راضون عن هذا الإمام وعقيدته، فهذا يدل أيضا على تصوفه وباعه الطويل في هذا الميدان، وكتابه في العقيدة (القول الفصل) شاهد أيضاً على أنّ عقيدة الإمام الأعظم كانت عقيدة أهل التصوف والسلف الصالح من أهل السنة والجماعة.

ومن المعلوم أن مصطلح التّصوف والصُّوفيّة لم يكن منتشراً في عهد الامام الأعظم (ﷺ)، فلم يُروى عنه كلامُ بشأن التصوف والصوفية حسب اطلاعي، ولكن المتتبع لآثار الإمام أبي حنيفة وأقواله يرى أنَّ هذا الإمام المبجّل لا يوجد عنده من الآراء ما يخالف مذهب الصوفية وعقيدتهم، بل يوافقهم، فلم يَرد عنه أبداً أنه أفتى بمنع جواز التوسُّلِ والتبرُّك والاستعانةِ والاستغاثَة وطلبِ المَدَدْ.. وغيرها من المصطلحات مما يجوزها أهل السنة والجماعة.

بَكْرٍ دُلَفَ الشِّبْلِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْمَالِكِيُّ الْمَذْهَبِ، صَحِبَ الْجُنَيْدَ، وتوفي سَنَةَ: ٣٣٤ وَالسِّرِّيُّ هُوَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مُغَلِّسٍ السَّقَطِيُّ خَالُ الْجُنَيْدِ وَأُسْتَاذُهُ، تُوُفِّيَ سَنَةَ: ٢٥٧هـ» . نفس المصدر السابق.

(١) ينظر: الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، لمحمدِ بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي، (ت: ١٠٨٨هـ) تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، سنة الطبع، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ م ، ص : ١٤.

(٢) ينظر: ردّ المحتار لابن عابدين ، ١: ٦٠، ٦١ ، والمصدر السابق.

(٣) المصدران السابقان.

لكن بعض المعاصرين منعوا تلك الأمور وبالغ بعضهم في هذا الباب مستشهدين ببعض من أقوال الإمامين الراحلين ـ الإمام ابن تيميّة الحراني وتلميذه ابن القيّم الجوزية ـ (رحمهما الله) دون الرجوع إلى بقية أقوالهم المؤيدة للصوفية وعقيدتهم، ولم يحسبوا حساباً للدّس في كتب العلماء والافتراء عليهم من قبل الأعداء، كما دسّوا في كتب الإمام الغزاليّ والإمام الشعرانيّ وغيرهم.

فلذلك قد أعلن هؤلاء العِداء على التّصوّف وأهله، ولم يقفوا عند حدّ تفسيقهم وتبديعهم لهم، بل وصل الأمر والغلوّ ببعضهم إلى تكفير أهل التصوف قاطبة، وتكفير أئِمتهم، والعياذ بالله، وقد تسمَّوا ببعض التسميّات، مدّعين المُضيَّ على منهج السلف، والسلف الصالح منهم براء.

فالمستقصي والمتتبع لآثار هذا الإمام المُبجَّل وعقيدته يرى العكس، ويرى أن عقيدة الإمام الأعظم يتطابق وعقيدةِ أهل التصوف وأهل السنة والجماعة، وهو نفسه (رضي الله عنه) من السلف الصالح، ومن طبقة خير القرون. وقصيدته المشهورة التي ألقاها وخاطب بها الروح الحاضرة لحضرة الحبيب (صلى الله عليه وسلم) عند الرّوضة الشريفة وتوسّلهِ واستغاثته بحبيب الحق وسيد الخلق(عليه السلام)، قاضيةٌ بعقيدته السليمة، ودليل على براعته في علم التصوّف. وهذا جزء منها حيث قال (رضي الله عنه):

يا سَيّد السّاداتِ جِئتكَ قاصداً *** أرجو رِضاك وأحتمي بِحماكا
أنت الذي لما رُفعت السما *** بك قد سَمَتْ وتزيّنَت لِسراكا
أنت الذي فينا سألت شفاعةً *** ناداكَ رَبّكَ لم تكن لسواكا
أنت الذي لما توسل آدم *** من زَلّةٍ بك فاز وهو أباكا
وبك الخليلُ دعا فعادت نارُهُ *** برداً وقد خمدَتْ بنورِ سَناكا
وبك المسيحُ أتى بشيراً مُخبراً *** بصفاتِ حُسنِك مادِحاً لِعُلاكا
ودعاكَ أيّوب لضُر مسّه *** فأزيل عنه الضّر حينَ دعاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلاً *** بك في القيامةِ مُحتَمٍ بِحماكا
والأنبياءُ وكلُ خلقٍ في الورى *** والرّسلُ والأملاكُ تحتَ لِواكا
يا مالكي كن شافعي في فاقتي **** إني فقيرٌ في الورى لغناكا
يا أكرمَ الثقلين يا كنزَ الغنى **** جُد لي بجودِك وارضني بِرضاكا
أنا طامع بالجود منك ولم يكن **** لأبي حنيفةَ في الأنام سواكا[1].
فعساك تشفعُ فيه عند حِسابهِ **** فلقد غَدا مُتمسّكا بِعُراكا

(١) ينظر: شرح فتح القدير، للإمام الكمال بن الهمام، ٢:٣٣٦، والفجر الصادق، جميل صدقي الزهاوي، مطبعة وقف الإخلاص، تركيا- اسطنبول، سنة الطبع، ١٩٩٥ ، ص:٩١.

فلأنتَ أكرمُ شافعٍ ومُشفَّعٍ ومن **** الْتجا بِحماكَ نالَ رضاكا [١].

ثانياً: رأي الامام مالك بن أنس،[٢] (رضي الله عنه) (ت:١٧٩هـ) في التصوّف.

قال الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه): « من تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوّف فقد تفسَّق، ومن جمع بينهما فقد تَحقَّق»[٣] .

وهذا القول صريح ـ لا يحتاج إلى أي تأويل ـ بأن هذا الإمام المبجل أمام المدينة الذي قالوا في حقِه: «لايفتى ومالك في المدينة»، يرى وجوب الجمع بين الطريقة والشريعة للوصول إلى الحقيقة، وعدم الاكتفاء بأحدهما .

---

(١) هذه القصيدة مشهورة وموجودة في شبكات النت وتنسب إلى الإمام ابي حنيفة، ولم أقف على أي مصدر مكتوب. ولكن من العجب أن صاحب المستطرف قد نسبها نفسه في كتابه المستطرف. المستطرف في كل فن مستطرف، لأبي الفتخ شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي، (ت: ٨٥٢هـ)، عالم الكتب – بيروت، سنة الطبع: ١٤١٩ هـ، عدد الصفحات: ٥٢٢، ص :٢٣٧. أقول: فان ثبت انها للإمام الأعظم بطل ما نُسب الخطيب، ومن المظنون أنَّ صاحب المستطرف استأنس بها تبركاً ولم بقصد انتخال قصيدة الإمام الأعظم، فنسبت إليه وظنّ أنها له، والبعض لايحبون أن تكون هذه الأبيات للإمام الأعظم، وربما غرضهم من ذلك إبعاد عقيدة الصوفية عن هذا الإمام الجليل رضي الله عنه.

(٢) هو الامام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أبو عبد الله إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، إليه تنسب المالكية، ولد بالمدينة عام: ٩٣هـ، وتوفي فيها عام: ١٧٩هـ. كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، وُشيَ به فضُربَ سياطا انخلعت لها كتفه. ووجه إليه الرشيد ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يُؤتى، فأتاه الرّشيد إلي منزله، وطلب منه المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف كتاب « الموطأ «» ورسالة في « الردِّ على القدرية « و « تفسير غريب القرآن «وغيرها. ينظر: طبقات الفقهاء، لأبي اسحاق الشيرازي، ص:٦٧ ، والأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدّمشقي، (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط : ١٥، سنة الطبع : ٢٠٠٢ م. عدد الأجزاء : ٩ ، ٥:٢٧٥.

(٣) ينظر: المخطوط: شرح عين العلم وزين الحلم، للأمام مُلا علي قاري، اسم المكتبة: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، رقم الحفظ: ١١٠٣٣، رقم اللوحة: ٣٣. وحاشية العلامة العدوي على شرح الإمام الزرقاني على متن العزية في الفقه المالكي، ٣: ١٩٥ .

ثالثاً: وجهة نظر الإمام الشافعي[١] (رضي الله عنه)(ت:٢٠٤هـ) في الصوفية.

لقد رويَ عنه (رضي الله عنه) عدة أقوال منها:

أ ـ في بيتين من الشعر يحرِّضُ الإمام محمد بن ادريس الشافعي (رضي الله عنه) طلاب العلم على الاقتداء بطريق التصوف والاستفادة من مسلك الصّوفية فيقول:

فَقيهاً وَصوفِياً فَكُن لَيسَ واحِداً ..... فَإِنّي وَحَقُ اللَهِ إيّاكَ أَنصَحُ

فَذَلِكَ قاسٍ لَم يَذُق قَلبُهُ تُقىً ... وَهَذا جَهولٌ كَيفَ ذو الجَهلِ يَصلُحُ[٢]..

ب ـ مما يؤيّد أن هذه الأبيات للإمام الشافعي نفسه وليست بمنسوبةٌ إليه كما يدّعيه البعض، هو قوله (رضي الله عنه): «وأنا حُبب إليّ من دنياكم ثلاث: معاملةُ الخلقِ بالتّلطف، وتركُ ما يؤدي إلى التكلّف، والاقتداءُ بطريق التصوف»[٣].

ج ـ ويروي الإصبهاني بسنده فيقول: حدثنا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ(رضي الله عنه)، يَقُولُ: «لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا عَاقِلًا تَصَوَّفَ لَمْ يَأْتِ الظُّهْرَ حَتَّى يَصِيرَ أَحْمَقَ» [٤].

---

(١) هو الامام مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيْسَ بنِ العَبَّاسِ بنِ عُثْمَانَ بنِ شَافِعِ بنِ السَّائِب، عَالِمُ العَصْرِ نَاصِرُ الحَدِيْثِ فَقِيْهُ المِلَّةِ أَبُو عَبْدِ اللهِ القُرَشِيُّ، ثُمَّ المُطَّلِبِيُّ الشَّافِعِيُّ، المَكِّيُّ، الغَزِّيُّ، الية ينتسب الشافعية. جمع إلي علم الفقة القراءات وعلم الأصول والحديث واللغة والشعر، قال الإمام أحمد: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست أبا عبد الله الشافعي. نشر مذهبة باحجاز والعراق، ثم انتقل إلي مصر سنة: ١٩٩هـ، ونشر بها مذهبة وبها توفي سنة: ٢٠٤هـ، من تصانيفه : «الأم « في الفقه»؛ و «الرّساله» في أصول الفقه و» أحكام القرآن»؛ و»اختلاف الحديث «وغيرها. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، (ت: ٧٤٨ هـ)، دار الحديث- القاهرة، سنة الطبعة: ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م ، والنسحة الثانية حققها مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ٨:٢٣٦، وطبقات الفقهاء، لأبي إسحاق الشيرازي ص:٧٢ ، و تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي – بيروت، - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء :١٦ ، ٢:٣٩٢ .

(٢) ديوان الإمام الشافعي، للإمام محمد بن ادريس الشافعي القريشي. مطبعة بغداد، سنة : ١٩٩٥. ص:٣٢ .

(٣) كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني، (ت: ١١٦٢ هـ)، تحقيق أحمد القلاش، طبع مطبعة الفنون - حلب ،(د.ت) ١: ٣٤١. و نزهة المجالس ومنتخب النفائس، لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، (ت: ٨٩٤هـ)، المطبعه الكاستلية – مصر, عام النشر: ١٢٨٣هـ ,عدد الأجزاء: ٢ ، ١:٥٣.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة - بجوار محافظة مصر، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، عدد الأجزاء: ١٠ ، ٩:١٤٢.

وقد وردت هذه العبارة عند ابن الجوزي في كتابه: «تلبيسُ إبليس» بلفظ: (لو أنَّ رجلاً) بدلاً من (لولا..) ومن المعلوم أنّ حذف وسقوط حرف (لا) بعد لو يغير المعنى تماماً، فالإمام الشافعي (رضي الله عنه) يدعوا إلى ضرورة صُحبة الصالحين من أهل التصوف والعرفان، ولكن منكري هذا العلم قد بدلوا كلمة (لولا) بـ (لو) وقلّبوا المعني. فالإمام الشافعي يقول:

اذا لم يصطحب العاقل أهل الزُّهد والتصوف يصيرُ أحمقاً ويكون من أبناء الدنيا المغترّين بها. وليس كما يقوله من اعتمد على كتاب «تلبيس ابليس» حيث بُدّلت كلمة لولا بـ لو وحُذف حرف (لا) منها عمد أو سهوا، وحينئذٍ تكون المعنى: لو أن عاقلا صحبِ صوفياً نصف يومٍ لصارَ أحمقاً.

فما ورد في كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي، (ت:٥٩٧هـ) بلفظ: (لو أن رجلا) غير صحيح؛ بل العبارة الصحيحة هي التي وردت عند الإمام الأصبهاني (رحمه الله)، في كتابه (حلية الاولياء) بلفظ (لولا أنَّ رجلاً ...إلخ)؛ لأنه كان السابق عليه وبين وفاتهما ١٦٧ عاماً .

نُضيف ونقول: حتى وإنْ سلمنا بصحة العبارة وعدم سقوط (لا) منها، فيؤوّل حينئذٍ كلمة تصوّف بـ (تشبَّه بهم)، ويكون المعنى: لو أنّ رجلاً عاقلا تشبَّهَ بأهل التصوّف ولم يعمل بعملهم ولم يتخلّق بأخلاقهم؛ بل تشبّه بهم رياءً وسمعةً، لكان أحمقاً .

وفي كل الأحوال لايمكن أن يُروي من الإمام الشافعي قولاً مخالفاً لفعله ؛ لأنه لا يُعقل ان يذمَّ الشافعي (رضي الله عنه)، صحبة الصّوفية، وهو الذي صحبهم مُدّةً مديدة واستفاد منهم,

فقد صح عنه أنه قال: «صحبت الصّوفية عشرُ سنين، ما استفدت منهم إلا هذين الحرفين: الوقت سيف، ومن العصمة أن لا تَقْدِر» (١) (٢) .

فهل يُعقَل ان يذمَّ الشافعيّ صحبةَ الصّوفية، وفي نفس الوقت يعترف بأنه صحبهم لمدة عشر سنين أو أكثر واستفادً منهم رغم تبحره في العلوم ؟ ومما يؤكد ذلك، الرّوايات الأخرى التي نوردها:

حيث قال (رضي الله عنه): «صحبت الصوفية مُدةً ودَهرًا طويلًا فما استفدت منهم إلَّا كلمتين: الوقت سيفٌ قاطِعٌ فإن قطعته وإلَّا قطعَكَ(٣)، ونفسك إن لَمْ تُشغِلها بالحقّ شغلتكَ بالباطل».

---

(١) ينظر: تلبيس إبليس، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، دار الفكر، بيروت ـ ٢٠٠١ م ، و مناقب الشافعي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، تحقيق: أحمد صقر , دار التراث – القاهرة ، ١٩٧٠م، عدد الأجزاء: ٢، ٢: ٢٠٨.

(٢) قوله : (ومن العصمة ان لا تَقدر) تفسيرها : عن عون بن عبد الله قال: «إن من العصمة أن تطلب الشيء من الدنيا ولا تجده». ينظر: حلية الاولياء، الاصبهاني، ٤: ٢٤٣ .

(٣) أي: اقطع الوقت بالعمل لئلا يقطعك بالتسويف.

ولما طُلِبَ من أحد العلماء وهو: عبدِ المحسن بنُ عبيد أن ينظم شعراً في قول الشَّافعي هذا قال:

فوقتك سيفٌ قاطعٌ إن قطعته ... بجدٍ وتشميرٍ وإلَّا سيقطعك
وبالحق إن لم تشغل النفس جاهداً ..... فبالباطل الأَردى سريعاً ستُشغلك

كذا قاله الحبر ابن إدريس ناقلاً .. . عن السادة العبُّاد قادة من سلك [١] .

ويعلّق الامام ابن القيم الجوزية على قول الشافعي هذا مادحاً الإمامَ الشافعيَّ وأهل التصوفِ قائلا :

قُلْتُ:» يَا لَهُمَا مِنْ كَلِمَتَيْنِ، مَاأَنْفَعَهُمَا وَأَجْمَعَهُمَا، وَأَدَلَّهُمَا عَلَى عُلُوِّ هِمَّةِ قَائِلِهِمَا، وَيَقَظَتِهِ، وَيَكْفِي فِي هَذَا ثَنَاءُ الشَّافِعِيِّ عَلَى طَائِفَةٍ هَذَا قَدْرَ كَلِمَاتِهِمْ « [٢].

رابعاً: رأي الإمام أحمد بن حنبل(رضي الله عنه)، [٣] (ت: ٢٤١هـ) في التصوف وأهله.

أ ـ عندما سئل (رضي الله عنه) عن الصّوفيّة قال:» لا أعلم أقواماً أفضلَ منهم. قيل له: إنهم يستمعون ويتواجدون، قال: دعوهم يفرحوا مع الله ساعة» [٤].

ب ـ كان الإمام أحمد (رضي الله عنه) قبل مصاحبته للصُّوفيّة يقول لولده عبد الله : يا ولدي عليك بالحديث، وإياك ومجالسةُ هؤلاء الذين سَمّوا أنفسهم صُوفيّة، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً

---

(١) ينظر: تذكرة أولي النُّهى والعرفان بأيام الله الواحد الدّيان وذكر حوادث الزمان، لإبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية ، ط:١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م , عدد الأجزاء: ٨ ، ٤: ٣٥٧.

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيّم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي – بيروت ، ط: ٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م , عدد الأجزاء: ٢ ، ٣ :١٢٥.

(٣) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل (رضي الله عنه)، هو ثقة ثبت صدوق كثير الحديث، وقد كان امتحن وضرب بالسياط، أمر بضربه أبو إسحاق ـ أمير المؤمنين ـ على أن يقول القرآن مخلوق فأبى، وقد كان حبس قبل ذلك فثبت على قوله ولم يجبهم إلى شيء، ثم دعي ليخرج إلى الخليفة المتوكل، ثم أعطي مالًا فأبى أن يقبل ذلك المال، وتوفي يوم الجمعة (سنة: ٢٤١هـ). ينظر: الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٨، ٧:٢٥٣. و طبقات الشافعية الكبرى, لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي،(ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو, هجر للطباعة، ط:٢ ، ١٤١٣هـ, عدد الأجزاء: ١٠. ١:٤٥٠.

(٤) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، للشيخ محمد أمين فتح الله الكردي الأربيلي، (ت: ١٣٣٢هـ)، ترتيب: محمد رياض، دار الكتب العلمية، لبنان، سنة الطبع: ١٩٩٥ م ، ص٤٠٥.

بأحكام دينه، فلمَّا صحب أبا حمزة البغدادي الصوفي (رضي الله عنه)، وعرف أحوال القوم، أصبح يقول لولده: يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والزهد، والمراقبة والخشية وعلو الهمة [١].

اذاً هؤلاء الأئمة كلهم أبناء السلف الصالح، وكلهم من خير القرون، وكلهم يشهدون للتصوف ويؤيدونه، فإذا نُقل قول بخلاف ما صحّ عنهم، مما فيه ذم للتصوف وأهله، فذلك تناقض وباطل لامحالة.

وبعد الاطلاع على ما نقلناه من كلام الأئمةٍ يمكن الحكم على التصوف وأهله إيجابا أو سلباً، لمن له شك في مسلكهم، وهل ينسجم مع رُوحِ الشريعةِ أو لا ؟ .

المطلب الثاني : آراء الفقهاء القدامي في التصوّف والصّوفيّة.

لقد ظهرت التصوف بعد القرن الثاني الهجري شيئا فشيئاً كما صرّح بذلك الإمام أب القاسم القيري في مقدمة ـ كتابه ـ الرسالة القشيريّة، وظهرت مجموعة من أكابر الأولياء الذين كانوا علماءَ راسخين وأولياءَ كاملين وصوفيين بمعنى الكلمة بارعين، أمثال أبوحمزة البغدادي، وأبو هاشم الصوفي، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ أبا يزيد البسطاميّ، والشيخ سري السّقطيّ، والشيخ جنيد البغدادي، والشيخ أبي القاسم القشيري، وغيرهم، فصاحبهُم الفقهاء بعد أن رأوا منهم أخلاقاً زكية، وصفاتاً جليلةً، وكراماتٍ باهرةٍ، وصدقاً، وإخلاصاً، وعفةً، وتواضعاً، ونقاءً وصفاءً، ومتابعة لسنة الحبيب (صلى الله عليه وسلم)، فبات لزاماً عليهم أن يبيّنوا رأيهم للمستفتين فيهم وللعامةِ.

وهنا نذكر أراء بعض العلماء والفقهاء العاملين في علم التصوف والصوفية ومسلكهم:

أولا: الشيخ عبد القاهر بن طَاهِر التَّمِيمِي البغدادي(رضي الله عنه)، [٢] (ت: ٤٢٩هـ) .

---

(١) النظام الخاص لأهل الاختصاص، أحمد الرفاعي، ص٢٠.

(٢) أَبُو مَنْصُور عبد القاهر بن طَاهِر ابْن مُحَمَّد الْبَغْدَادِيّ التَّيْسَابُورِي، كَانَ كشيخه أبي إِسْحَاق الإِسْفِرَايِينِيّ فِي نُصْرَة طَرِيقة الْفُقَهَاء، وهو الفَقِيه الأصولي الأديب الشَاعِر النحوي الماهر فِي الْحساب وعلم العروض. ورد نَيسابور وتفقه على علمائها، وَكَانَ ذَا ثروة فأنفق مَاله على الْعلم حَتَّى افْتقر، وَلم يكْسب بِعِلْمِهِ مَالا. صنّف فِي الْعُلُوم، وأربى على أقرانه فِي الْفُنُون، ودرّس سَبْعَة عشر علماً، وأملى الحَدِيث، وَكَانَ كثير الشُّيُوخ، سخي النَّفس، طيب الْأَخْلَاق،(ت: ٤٢٩هـ) . ينظر: طبقات الشافعية، لعثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح، (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيروت، سنة: ١٩٩٢م، عدد الأجزاء:٢، ٢:٥٥٣ ، و بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، المكتبة العصرية - لبنان ـ صيدا، عدد الأجزاء: ٢، ٢:١١٥.

هذا العالم الجليل والإمام الكبير الذي وصف بأنه كان حجةً للمتكلمين، تحدَّث في كتابه الثمين (الفرقُ بين الفِرَق) في الفصل الأول منه، عن أصناف أهل السنة والجماعة، فذكر ثمانية أصناف، أشار إلى صنف المتكلمين، والفقهاء، والمحدثين، وعلماء علم الآلة من النحو والصّرف وغيرها، والقرّاء المعتبرين، وأهل التّصوّف، والمجاهدين، والعامة التابعين لهم، وهنا ننقل نصّ كلامه (ﷺ) بشأن الصوفية حيث قال: «والصنف السَّادِس مِنْهُم الزُّهاد الصُّوفِيَّة الَّذين أبصروا فاقصروا، واختبروا فاعتبروا، وَرَضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور، وَعَلمُوا أنّ السّمع وَالْبَصَر والفؤاد كلُّ اولئك مسؤول عَن الْخَيْر وَالشَّر ومُحاسَبٌ على مَثَاقِيل الذَّر، فأعدّوا خير الِاعْتِدَاد ليَوْم الْمعَاد، وَجرى كَلَامهم في طريقي الْعبارَة والإشارة على سَمَتِ أهل الحَدِيث دونَ من يشترى لَهو الحَدِيث، لَا يعْملُونَ الْخَيْرَ رِيَاء، وَلَا يتركونه حَيَاء، دينهم التَّوْحِيد وَنفى التَّشْبِيه، ومذهبهم التَّفْوِيض إلى الله تَعَالى والتوكل عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيم لأمره والقناعة بِمَا رزقوا، والإعراض عَن الِاعْتِرَاض عَلَيْهِ [١]. [ذَلِك فضل الله يؤتيه من يَشَاء وَالله ذُو الْفضل الْعَظِيم] [٢].

ثانياً: حُجّة الاسلام الإمام أبو حامد محمد الغزاليّ[٣] ،(ﷺ)(ت: ٥٠٥هـ) ورأيه في التصوف .

بعدما تعرّف الإمام الغزاليّ على علم التصوف ورجاله ودخل فيه، بدأ بترويض نفسه وعلاجها والعمل على منهج التصوف، واختار العُزلة على الأنس، والسفر على الإقامة، والمشقة على الراحة، والغُربة على الأهل والولد، والفقر على الغنى، تاركاً وراءه طُلاّبه ومدرستَه ـ مدرسة المستنصرية في بغداد ـ حيث كان عميداً ومدرساً لها بأمر من « نظام الملك « آنذاك ، متوجها إلى بلاد الشام، فيتحدَّثُ (ﷺ) بنفسه عن نفسه، عن خلَواتِه ورياضاته قائلاً: «ودمت على ذلك مقدار عشرِ سنين، وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمورٌ لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، (ت: ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط: ٢، سنة: ١٩٧٧، ص:٣٠٢.

(٢) سورة الجمعة ،الآية: ٤.

(٣) أَبُو حَامِدٍ زين الدين حجَّةُ الإِسْلاَم، أُعجوبَة الزَّمَان الطُّوْسِيّ، الشَّافِعِيّ، الغَزَّالِي، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ وَالذَّكَاءِ المُفرِط، تَفقَّه بِبَلَدِهِ، ثُمَّ تَحوَّل إِلَى نَيْسَابُوْرَ، فَلاَزَمَ إِمَامَ الحَرَمَيْنِ، وبَرع فِي الفِقْه والكَلاَمِ وَالجَدَل، نَاظرَ الكِبَارَ بِحَضْرَة نظام الملك الوَزِيْر، فَانبهر لَهُ، وَشَاعَ أَمْرُهُ، فَولاَّهُ النِّظَام تَدْرِيْس نِظَامِيَة بَغْدَاد، وَأَخَذَ فِي تَأْلِيفِ الأُصُوْلِ وَالفِقْهِ وَالكَلاَمِ وَالحِكْمَةِ، فعَظُمَ جَاهُه؛ ولكنه رفض الرِّئَاسَة، وَشرع في رياضة نَفْسه وَجَاهدهَا، وَأَلَّف كِتَاب «الإحياء» ،»والأَرْبَعِيْنَ»، وَالقِسطَاس»، ثُمَّ رجع إِلَى وَطنه، وابتنى إلى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة، ولزم الانقطاع، (ت: ٥٠٥هـ). ينظر: سير اعلام النبلاء، للذهبي، ٢٦٧/١٤، والأعلام ، للزركلي، ١١: ٢٣٦ .

أذكره لينتفع به: إني علمت يقيناً أنَّ الصّوفيّةَ هم السالكون لطريق الله تعالى خاصةً، وأن سيرتهم أحسن السّيرِ، وطريقهم أصوب الطرقِ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جُمِعَ عقلُ العُقلاءِ، وحكمةُ الحُكماءِ، وعلمُ الواقفينَ على أسرار الشّرعِ من العلماء، ليُغيّروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم، ويبدّلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميعَ حركاتِهم وسكناتِهم، في ظاهرِهم وباطِنِهم، مُقتبسةٌ من نورِ مشكاةِ النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يُستضاء به»[١].

ثالثاً : الإمام فخرُ الدّينِ محمد بن عمر الرّازي، (رضي الله عنه)،[٢] (ت:٦٠٦هـ) .

قال بشأنهم: «والمتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرّد النّفسِ عن العلائق الجسمانية، ويجتهدون الاَّ يخلوَ سرّهم وبالهم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرّفاتِهم وأعمالِهم، مطيعون على كمال الأدب مع الله (عز وجل)، وهؤلاء هم خيرُ فِرقِ الآدميين « [٣].

رابعاً: عِزّ الدّين بن عبد السلام (رضي الله عنه)، [٤](ت:٦٠٦هـ)، ـ سلطان العلماء ـ

قال في مدح الصُّوقية : «أي والله ما قعد على قواعد الشريعة التي لا تنهدِم إلا الصُّوفية».

---

(١) المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب الحديثة، مصر،(د. ت) ، ص:١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) هو الامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التيمي، البكري، الرّازي، الشافعي، أبو عبد الله المعروف بالفخر الرّازي، وبابن خطيب الرّي، مفسر، متكلم، فقيه، أصولي، حكيم، أديب، شاعر، طبيب، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. قرشي النّسب، ولد بالرّي من أعمال فارس عام: ٥٤٣هـ، وأصله من طبرستان، ورحل إلى خُوارزم وما وراء النهر وخُراسان، وأخذ عنه خلق كثير، وسار إلى ـ سلطان غزنة ـ شهاب الدين، فبالغ في إكرامه، واتصل بالسلطان علاء الدين خوارزم شاه فحظي لديه، توفي بهراة سنة: ٦٠٦هـ، وخلّفَ تركة ضخمة. من تصانيفه: مفاتيح الغيب، شرح الوجيز للغزالي، والسرّ المكتوم، الدلائل في عيون المسائل، وله أشعار باللغة العربية والفارسية، ينظر: الأعلام، للزركلي ، ٦:٣١٣ ، ومعجم المؤلفين، وعمر رضا ،١١:٧٩,

(٣) ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للامام فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين الرّازي، تحقيق: علي سامي النّشار، دار الكتب العلمية – بيروت ، سنة الطبع : ١٤٠٢هـ ، ص: ٧٣.

(٤) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عزّ الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق، وزار بغداد وعاد إلى دمشق، تولى التدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي، حُبس من قبل الصالح إسماعيل لإ نكاره تسليم قلعة «صفد» للفرنجة، ثم أطلق فخرج إلى مصر، فولاه الصّالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة، ومكّنه من الأمر والنهي، ثم اعتزل ولزم بيته، (ت: ٦٦٠هـ) بالقاهرة، من كتبه : « التفسيرالكبير» و « الإلمام في أدلة الاحكام « وقواعد الشريعة « ومسائل الطريقة» و « الفوائد « و « قواعد الأحكام « و « بداية السول « و « الفتاوي « و « الغاية في اختصار النهاية « . ينظر: الأعلام ، للزركلي، ٤:٢١، و معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة بن محمد راغب بن عبد الغني، (ت: ١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، سنة الطبع، ١٩٥٧، عدد الأجزاء: ١٥ ، ٥:٢٤٩.

قال ذلك لما التقى بالشيخ الشاذلي (ﷺ) وأخذ بيده [١] .

هذا العالم الكبير يصفه العلاّمة السبكي ويتحدث عن شخصية الصوفية وجهوده وجهاده فيقول: « وَقد كَانَت للشَّيْخ عز الدّين الْيَد الطُّولى فِي التصوف وتصانيفه قاضية بذلك [٢]». ثم يتحدث عن دوره في الجهاده وفتاواه في الشرعية المشجعة للمجاهدين، القادة منهم والامراء والجنود. فيقول:

«و لما داهمت التتار الْبِلَاد عقيب وَاقعَة بَغْدَاد وَجبن أهل مصر عَنْهُم وَضَاقَتْ بالسلطان (قطز) وعساكره الأَرْض، استشاروا الشَّيْخ عز الدّين (رَحمَه الله) فَقَالَ: « اخْرُجُوا وَأَنا أضمن لكم على الله النَّصْر» فَقَالَ السُّلْطَان لَهُ: « إِن المَال فِي خزانتي قَلِيل وَأَنا أُرِيد أَن أقترض من أَمْوَال التُّجَّار»، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخ عز الدّين:» إِذا أحضرت مَا عنْدك وَعند حريمك، وأحضر الْأُمَرَاء مَا عِنْدهم من الْحلِيّ الْحَرَام وضربته سكَّة ونقدا وفرقته فِي الْجَيْش وَلم يقم بكفايتهم، ذَلِك الْوَقْت أطلب الْقَرْض وَأما قبل ذَلِك فَلَا». فأحضر السُّلْطَان والعسكر كلهم مَا عِنْدهم من ذَلِك بَين يَدي الشَّيْخ، وَكَانَ الشَّيْخ لَهُ عَظمَة عِنْدهم وهيبة بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُونَ مُخَالفَته، فامتثلوا أمره [٣]، وكان لقطز(ﷺ) النصرة المعروفة على التتار في معركة (عين جالوت)[٤] .هكذا كان يتحدث العلامة السبكيّ عن شخصيّة سلطان العلماء ـ العز بن عبدالسلام ـ ، وهكذا مدح سلطان العلماء الصوفية ومسلكهم.

---

(١) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي، (ت: ١٢٢٤هـ)، محقق: ، ٦:١٣٥..

(٢) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين عبد الوهاب السبكي، (ت: ٧٧١هـ)، محقق: ٨:٢١٥ .

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه، و طبقات المفسرين، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، (ت: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: باشراف لجنة من العلماء، عدد الأجزاء: ٢، ١:٣٢٢ .

(٤) ينظر: طبقات المفسرين ، للداوودي ، ١:٣٢٢.

خامساً: الإمام شرف الدّين أبو زكريا يحيى النّووي (رحمه الله) [١] ، (ت: ٦٧٦هـ).

قال الإمام النّووي (رحمه الله) :» أصول طريق التّصوف خمسةٌ: تقوى الله في السرِّ والعلانية، واتباع السّنة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرِّضى عن الله في القليل والكثير، والرّجوع إلى الله في السَّرّاء والضرّاء [٢] .

سادساً: الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السُّبْكي (رحمه الله)، [٣] (ت: ٧٥٦ هـ).

يصفه ابنه البار الإمام تاج الدين السبكي بقوله: «كَانَ كثير التَّعْظِيم للصوفية والمحبة لَهُم وَيَقُول : طَرِيق الصُّوفِي إِذا صحت هِيَ طَرِيقَة الرشاد الَّتِي كَانَ السّلف عَلَيْهَا،[٤]. وكان يقدر شيخه النووي بحيث يقول ابنه تاج الدين» أَنه أَعنِي الْوَالِد (رَحمَه الله) لما سكن فِي قاعة دَار الحَدِيث الأشرفية فِي سنة: (٧٤٢هـ) كَانَ يخرج فِي اللَّيْل إلى إيوانها ليتهجد تجاه الْأَثر الشريف ويمرغ وَجهه على الْبسَاط الذي كَانَ النَّوَوِيّ يجلس عَلَيْهِ وَقت الدَّرْس فأنشدني الْوَالِد لنَفسِهِ فقال:

وَفِي دَار الحَدِيث لطيف معنى ... على بسط لَهَا أصبو وآوي

عَسى أَنِّي أمس بَحر وَجْهي ... مَكَانا مَسّه قدم النواوي [٥].

---

(١) الإمام الحافظ المؤرّخ الفقيه أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي الدمشقي، صاحب «روضة الطالبين» و «تهذيب الأسماء واللغات», و «الأذكار»، وغيرها، ولد في نوى من أرض حوران من سورية، سنة ٦٣١هـ، حفظ القرآن الكريم في صغيره، وقدم به والده دمشق، فأخذ العلم عن جمهرة من كبار العلماء، ولازم التصنيف، ونشر العلم مع العبادةِ، والصبرِ على العيش الخشن. تولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق حسبة لوجه الله, زار بيت المقدس، ثم رجع نوى، فمرض عند أبويه، (ت:٦٧٦هـ في رجب. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ) ،حققه : محمود الأرناؤوط ، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط, دار ابن كثير، دمشق – بيروت ، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ،عدد الأجزاء: ١١ ، ١:٥٦.

(٢) مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول التصوف، للإمام شرف الدين ابوزكريا يخيى النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، المطبعة الاهلية، بيروت سنة الطبع: ١٣٢٤هـ، ص:٢٠.

(٣) هو الإمام تقيّ الدين علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقا. ولد في سبك بمصر وانتقل إلى القاهرة ثم الشام، وولي قضاءه سنة: ٧٣٩ هـ ، مرض فعاد إلى القاهرة، وتوفي فيها، سنة: ٧٥٦ هـ ، من كتبه: « الدر النظيم « في التفسير، و « مختصر « و « السيف الصقيل و» شفاء السقام و « الابتهاج في شرح المنهاج –ينظر: ، الأعلام، للزركلي ، ٤:٣٠٢ .

(٤) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين عبدالوهاب السُّبكي، (ت: ٧٧١هـ)، ١٠:٢١٩.

(٥) المصدر نفسه، ٨:٣٩٦ .

سابعاً: الإمام تاج الدّين السُبْكي (رضي الله عنه)، [١] (ت: ٧٧١هـ).

يمدح الصوفيّة فيقول: «حياهُم اللّه وبَيّاهُم، وجَمعَنا في الجَنّة نحن وإياهُم، وقد تشعَّبَت الأقوال فيهم تَشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها، والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين تُرتجى الرَّحمةُ بذكرِهم ، ويستنزل الغيثُ بدعائهم، ف رضي الله عنهم وعنا بهم»[٢] .

ثامناً: رأي الإمام أبي العباس أحمد بن زروق(رضي الله عنه)، [٣](ت: ٨٩٩ هـ) فيهم.

يقول الامام أحمد بن زروق (رحمه الله): «لا تصوف إلا بفقهٍ، إذ لا تُعرف أحكام الله الظاهرة إلاّ منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلاّ بصدق وتوجه، ولا هما إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما بدونه، فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد، إذ لا وجود لها إلا فيها، كما لا كمال له إلا بها «[٤] .

تاسعاً: الإمام أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني ، (رضي الله عنه) (ت: ٩٧٣هـ).

يتحدث عن منهج الصوفيّة وأصالتهِ فيقول (رضي الله عنه) :» إن طريق القوم مُحرّرَةٌ على الكتاب والسنة، كتحرير الذّهب والجوهر، فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعيّ في كل حركة وسكون[٥] .

وقد ألف الإمام الشعراني(٣٠٠) كتاباً، ومن تلك التأليفات كتابه القيّم:» الفلك المشحون في بيان أن علم التصوف هو ما تخلق به العلماء العاملون « [والاسم يدل على المسمى] وذكر فيه أكثر

---

(١) هو الإمام المؤرّخ أبو نصر عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السّبكي الشافعي، صاحب «طبقات الشافعية الكبرى»، ولد في القاهرة سنة: ٧٢٧هـ، سمع بمصر ثم قدم مع والده إلى دمشق سنة: ٧٣٩هـ ، وقرأ على الحافظ المزّي، ولازم الذهبي وتخرّج به، وأجازه شمس الدين بن النقيب بالإفتاء والتدريس وهو شاب، وأفتى وصنّف، واشتغل بالقضاء، وولي الخطابة ثم عزل، وحصل له فتنة شديدة، وسجن بالقلعة نحو ٨٠ يوما، ثم عاد إلى القضاء، ومات شهيداً بالطاعون في ذي الحجة سنة :٧٧١هـ ، ودفن في سفح جبل قاسيون قرب دمشق. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن عماد الحنبلي، ١:٦٧.

(٢) معيد النعيم ومبيد النقم، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، دار صادر، بيروت،(د.ت)، ص: ١١٩.

(٣) () أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس، زروق، فقيه محدث صوفي. من أهل فاس، تفقه في بلده وقرأ بمصر. ولد سنة: ٨٤٦ هـ، غلب عليه التصوف فتجرد وساح، (ت: ٨٩٩ هـ). له تصانيف كثيرة منها: «الاختصار مع التحرير» و«شرح مختصر الخليل»، و«إعانة المتوجه» في التصوف وغير ذلك. ينظر: الأعلام ، للزركلي، ١ :٩١.

(٤) قواعد التصوّف وشواهد التعرّف، لابي العباس أحمد زرّوق الفاسي، (٨٤٦ـ٨٩٩هـ) ، تحقيق: نزار حمّادي, دار الضياء ـ الكويت, طبعة : ٢، سنة : ٢٠٢٠ م، القاعدة الرابعة، ص: ٤

(٥) المنن الكبرى أو لطائف المنن والأخلاق، لأبي المواهب أحمد بن علي عبد الوهاب الشعراني، (ت:٩٧٣هـ)، خرج احاديثه: سلم مصطفى البدري, دار الكتب العلمي، لبنان ،محمد علي بيضون، المقدمة، ص: ٥.

من (١٥٠) شيخاً من شيوخه في الطريقة والشريعة[١].

عاشراً: رأي الإمام جلال الدّين السّيوطي (رضي الله عنه)، [٢](ت: ٩١١هـ)، في علم التصوف والصوفيّة.

قال(رضي الله عنه) :» إن التصوف في نفسه علم شريف، وإن مداره على اتباع السنّة وترك البِدع، والتبرّي من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها والتسليمِ لله، والرضى به وبقضائه، وطلبِ محبته، واحتقارِ ما سواه.. «[٣].

وقال كذلك :» وعلمتُ أيضاً أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم، فأدخلوا فيه ما ليس منه، فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع، فوجَّه أهلُ العلم للتمييز بين الصنفين ليُعلمَ أهل الحق من أهل الباطل، وقد تأملتُ الأمور التي أنكرها أئمة الشّرعِ على الصوفية فلم أرَ صوفياً محقِّقَاً يقول بشيء منها، وإنما يقول بها أهل البدع والغلاةُ الذين ادَّعَوْا أنهم صوفية وليسوا منهم»[٤].

---

(١) ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، (ت: ١٣٨٢هـ)،, تحقيق: إحسان عباس, دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: ٢، لسنة: ١٩٨٢ عدد الأجزاء:٢ ، ٢:١٠٨٠.

(٢) هو الإمام الحافظ المؤرخ الأديب جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، ولد سنة: ٨٤٩هـ، ونشأ في القاهرة يتيما، مات والده وعمره ٥ سنوات، ولما بلغ: ٤٠ سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه منزوياً عن أصحابه، فألف أكثر كتبه، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. (ت: ٩١١ هـ). له اكثر من ٦٠٠ مصنف، منها « الدرّ المنثور» و»الإتقان» و»الأشباه والنظائر» و»الالفية في النحو» و»بغية الوعاة» . ينظر: شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي,. ١٠:٧٥، و الأعلام ، للزركلي، ٣:٣٠٣.

(٣) تأييد الحقيقة العلية، للإمام جلال الدين السيوطي، (ت:٩١١هـ) : ,ص:٥٧

(٤) المصدر نفسه.

المبحث الثاني
آراء المنصفين من العلماء غير المشهورين بالصّوفية في الصوفيّةِ وشهادات أبرز المعاصرين من العلماء في التصوف وتأثير الصّوفيةِ على العالم الاسلامي

المطلب الأول: أراء المنصفين من العلماء غير المشهورين بالصّوفية في التصوّف والصّوفيّة.

عندما برزت الفتن وظهرت البدع وأهلها، وازدادت محاربة أهل التصوف والعلماء والعارفين، ودسّ المستشرقون وعملاء الصليبيين في كتبهم مالم يقولوا به، علاوة على ذلك تَسمّى بالصّوفية كثيرٌ ممن لم يتعلموا أداب التصوّف، ولم يدرسوا علم التصوّف، ولم يتربوا على أيدي مشايخ الصوفيّة، ولم يذوقوا حلاوة الإيمان فضلاً عن الغور في بحار علم التصوف، مبتغين من وراء ذلك كسب الجاه والدنيا، فاختلط على بسطاءِ الناس الأمر، وتبع بعضهم مدّعي التصوف والعرفان، فأدرك العلماء خطورة الوضع، فقاموا بالتمييز بين الصوفيين الصادقين، من المتشبهين بالأكابر المدّعين لطريق القوم، فمدحوا أهل العرفان، وبيّنوا حقيقة الجهلة المدّعين من أهل العصيان وزيغ عقيدتهم.

هنا نورد آراء بعض العلماء المنصفين ممن مدحوا أهل التصوف وطريقهم، وذمّوا الجهلةَ المدّعين الذين لم يسيروا على منهج الأكابر، وادعوا الولاية والكرامة من غير تزكية ورياضة، وكانوا أبعد الناس عن خُلُق السَّلف الصالح ومشايخ الطريقة، ومن هؤلاء العلماء ننقل من أقوال:

أولا : الإمام أحمد ابن تيمية الحرّاني (﵀) [1]، (ت:٧٢٨هـ) .

يتحدّثُ الإمام ابن تيمية (﵀) في فتاويهِ عن الصوفيّة وأهل العرفان، مُحدداً معنى الصوفي، مادحاً لهم قائلاً : «هو في الحقيقة نوع من الصديقين، فهو الصدّيق الذي اختصَّ بالزّهدِ والعبادة على الوجه الذى اجتهدوا فيه، والصوفيون قد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم، فهم من

(١) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي، العالم المحقق الحافظ، تفقه، ودرّس، وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار، والتوسع في المنقول والمعقول، تصانيفه كثيرة، منها: «فتاوى ابن تيمية»، و«السياسة الشرعية»، توفي (﵀) معتقلاً سنة: ٧٤٧هـ، ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب، ٢: ٣٨٧، والدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد، (١ ـ ٥). تحقيق: محمد سيد جادّ الحقّ، القاهرة ١٩٦٦/ ١٣٨٥، ١: ٨٨-٩٦.

أكمل صديقي زمانهم، والصدّيق في العصر الأول أكمل منهم، والصديقون درجات وأنواع» [١].

ويقول في فتاويه أيضاً :» فَأَمَّا الْمُسْتَقِيمُونَ مِنْ السَّالِكِينَ كَجُمْهُورِ مَشَايِخِ السَّلَفِ : مِثْلِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، وَأَبِي سُلَيْمَانَ الداراني، وَمَعْرُوفٍ الْكَرخِي، وَالسَّرِيِّ السقطي، والْجُنَيْد بْنِ مُحَمَّدٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَمِثْلِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ وَالشَّيْخِ حَمَّادٍ وَالشَّيْخِ أَبِي الْبَيَانِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ، فَهُمْ لَا يُسَوِّغُونَ لِلسَّالِكِ وَلَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الشَّرْعِيَّيْنِ؛ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ الْمَأْمُورَ وَيَدَعَ الْمَحْظُورَ إلى أَنْ يَمُوتَ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ[٢].

أي: أنَّ مشايخ الصوفية لايجوّزون لأحد من مريديهم أو غيرهم ممن يدّعي التصوف والطريقة أن يخرج عن أوامر ونواهي الشريعة من المأمورات أو المحضورات ولو طار في الهواء، أو مشى فوق الماء، بل لابد أن يكون المريد تابعا للشريعة إلي أقصي حد ولا يحيد عنها قيد أنملة.

ثانياً: الإمام شمس الدين الذّهبي والتصوف، (ت:٧٤٨هـ) [٣].

عندما يذكر الامام الذهبي سيرة العلماء والفقهاء والأولياء والصالحين ويترجم لهم، يذكر مناقبهم وتقواهم، فان كانوا من أهل الزّهد والتصوف وقبول الدّعاء يذكرهم بذلك، وهذا يدل على ميله لأهل التصوف من الزهاد والعباد، والأمثلة بهذا الشأن في كتبه كثيرة، ومنها أنه عندما يترجم للشيخ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ الهَمَذَانِيُّ، يقول :

« الشَّيْخُ، الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، المُحَدِّثُ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الفَرَجِ بنِ لَالٍ الهَمَذَانِيُّ، الشَّافِعِيُّ ...، ثم يقول: قَالَ شِيْرَوَيْه : كَانَ ثِقَةً، أَوْحَدَ زمَانِهِ،

---

(١) مجموع الفتاوى، لتقي الدّين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.١١:١٧. و مناهج المفسرين، لمنيع بن عبدالحميد، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، عام النشر: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ص: ٢٠٢.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية، ١٠:٥١٦.

(٣) هو الامام الحافظ المؤرخ شمس الدين مُحَمَّد بن احْمَد بن عُثْمَان بن قايماز التركماني المصرى أَبُو عبد الله الذَّهَبِيّ، شافعي المذهب، كان محدّث عصره، سمع عن الكثيرين من العلماء بدمشق وبعلبك ومكة ونابلس، برع في الحديث وعلومه، وكان يُرحل إليه من سائر البلاد وكان فيه ميل إلى آراء الحانبلة، ولد سنة: ٦٧٣ هـ، وَتوفى سنة: ٧٤٨ هـ من مصنفاته ،اخبار قُضَاة دمشق، تَارِيخ الاسلام، سير أعلام النبلاء، التِّبْيَان فِي مَنَاقِب عُثْمَان بن عَفَّان، التَّجْرِيد فِي اسماء الصَّحَابَة،،تَحْرِيم الادبار، تذكرة الْحفاظ . ينظر: طبقات الشافعية، للإمام السبكي، ٩: ١١٠ ، وهدية العارفين، للباباني، ٢: ١٥٤ .

مُفْتِي البَلَد، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي علومِ الحَدِيْثِ، مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَالدُّعَاءُ عِنْد قَبْرِهِ مُسْتَجَابٌ، (ت: ٣٩٨هـ) (١).

فقوله: «وَالدُّعَاءُ عِنْد قَبْرِهِ مُسْتَجَابٌ» ،مع عدم إنكاره لذلك مُشعِر بأنه لا يخالف هذا المعتقد، وهو متفق مع الصوفية بأن الأماكن المباركة تستجاب فيها الدّعوات أكثر من غيرها، كالرّوضة المباركة ومقام سيّدنا إبراهيم (على نبينا و)، وأضرحة الأولياء والصالحين، (رضي الله تعالى عنهم)، كما أن هناك أوقات شريفة تُستجاب فيها الدعوات أكثر من غيرها بِنصِّ الأحاديث النبويّة الشريفة.

ويذكر الإمامُ الذهبيّ أيضاً سيرةَ أبُو شعيب الواسطيّ الزّاهد، ـ صالح بن يونس ـ ، فيقول في ترجمته: كَانَ من سادات الصوفية. وردَ عَنْهُ أَنَّهُ رأى الحقَّ تعالى في النوم، وحجَ عَلَى قدميه سبعين حجّة، تُوُفِّي سنة: (٢٨٢هـ) بالرّملة، وَكَانَ يعرف بالمقنَّع، والدّعاء عند قبره مُستجاب (٢).

فهو () ينص هنا عبارةً لا حكايةً على جواز إجابة الدّعوة عند مرقد الوليّ الصالح، وهذا يدل على عدم إنكاره لطريق القوم ومعتقداتهم.

وعندما يتحدث عن أبي الفضل صالح بن أحمد التميمي الهمذاني يقول: ذكره شيرَوَيهِ في تاريخه فقال: كان رُكنًا من أركان الحديث، ثقة حافظًا ديِّنًا، لا يخاف في الله لومة لائم، وله مصنفات غزيرة، (توفي في شعبان سنة: ٣٨٤هـ)، والدعاء عند قبره مستجاب(٣).

وينقل بسنده عن إِبْرَاهِيم الحربي، قولَهُ : «قبر معروف الترياقُ المُجرَّب» (٤).

وقد استخدم الإمام الذّهبي في «تاريخه» وكتابه الآخر «سير أعلام النبلاء» كلمة التصوف ومشتقاته أكثر من ألفي مرة، أي: انَّ الذين ترجم لهم الإمام الذّهبي من الصّوفية من العلماء والاولياء، قد تجاوز عددهم الألف او الآلفان، فلو لم يكن مُعجباً بالسادة الصوقيّة لما أدرج أسماءهم ومناقبهم في كتبه، ولما مدحهم.

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ١٧:٧٦ .

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ) المكتبة التوفيقية، عدد الأجزاء: ٣٧ ، ٢١:١٩٣..

(٣) ينظر: تذكرة الحفاظ، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط: ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م ، عدد الأجزاء: ٤ ، ٣ : ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٤) ينظر: تاريخ الاسلام، للذهبي ، ١:٤٤٥ .

ثالثاً: الإمام ابن قيِّم الجوزيّة (﵀)[١]، (ت :٧٥١ هـ) .

هذا الإمام المعروف الكبير، يصف علم التصوف، ويبشّر الداخل في طريق القوم بأنه أحرز نصف الإيمان بمجرّد السلوك مع الصوفيّة فيقول: « ومنها: أن هذا العلم، هو من أشرف علوم العباد، وليس بعد علم التوحيد أشرف منه، وهو لا يناسب إلا النفوس الشريفة» [٢].

ثم يقول: «فإذا رأى نفسَه تناسب هذا العلم، وتشتاق إليه، وتحبّه، وتأنس بأهله فَلْيُبشِرْ بالخيرِ، فقد أُهِّل له، فليقل لنفسه: يا نفس قد حصل لكِ شطرُ السعادة فاحرصي على الشطر الآخر، فإنَّ السّعادة في العلم بهذا الشأن والعمل به، فقد قطعتِ نصف المسافة، فهلّا تقطعين باقيها فتفوزين فوزًا عظيمًا! ..» [٣].

ويدافع مرّة أخرى عن علم التصوّف ومنهج الصوفية فيقول: «التصوف زاويةٌ من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها، لتستعدّ لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه، فان المرء مع من أحَبَّ، كما قال سمنون: ذهب المحبون بشرف الدنيا والاخرة، فان المرء مع من أحبَّ، والله اعلم» [٤].

وكان (﵀) يصفُ أهل التصوّف بما فيهم ويقول: « أنهم كانوا أجلّ من هذا، وهممهم أعلى وأشرف، إنما هم قائمون على اكتساب الحكمة والمعرفة وطهارة القلوب وزكاة النفوس وتصحيح المعاملة...» [٥] .

---

(١) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، الفقيه، الأصولي المتكلم المفسر النحوي، ابن قيم الجوزية، أخذ العلم عن كثيرين، أشهرهم هو الإمام ابن تيمية حيث لازمه مدة طويلة، وسجن معه في قلعة دمشق، من تصانيفه: إعلام الموقعين، وزاد المعاد، وبدائع الفوائد، توفي في رجب سنة: ٧٥١ هـ.، ينظر: طبقات الحنابلة، لابن رجب: ٢: ٤٤٧، والدرر الكامنة ،لابن حجر، ٥: ١٣٧. ومعجم المؤلقين ، ٩ : ١٠٦.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١ هـ)، الدار السلفية، القاهرة، مصر، ط: ٢، ١٣٩٤ هـ، ص:٢٠٥ .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مدارج السالكين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، محقق : ٢: ٣٠٢.

(٥) المصدر السابق ،١:١٣٥..

رابعاً: الإمام أبو إسحاق الشاطبي[١]**،(رحمه الله)، (ت: ٧٩٠هـ).**

يمدح الصوفية ويشهد لهم باتباعهم للسنة وأنهم الطبقة المختارةُ فيقول: «وقد بنوا نحلتَهم على اتباع السنّة، وهم باتفاق أهل السنّة، صفوة الله من الخليقة» [٢].

ولقد عزم الإمام الشاطبي (رحمه الله)، على التأليف في علم التصوف ثم أعجلته المنية قبل تحقّق مُراده، حيث يقول :»وفي غرضي إن فسح الله في المدَّة وأعانني بفضله ويسر لي الأسباب أن أُلخِّصَ في طريقة القوم أنموذجا يُستدلُّ به على صحتها وجريانها على الطريقة المثلى «[٣].

وفي موضع آخر يُشير هذا الإمام الكبير إلى أن علم التصوف بذاته علم شريف، وأن منهج التصوف هو منهج السلف الصالح ؛ ولكنه لم يسلم من البِدع بسبب الجهلة فقال: «وأنه إنما داخلتها المفاسِد وتطرقت إليها البِدع من جهة قوم تأخرت أزمانهم عن عهد ذلك السلف الصالح، وادعوا الدّخول فيها من غير سلوك شرعي ولا فهم لمقاصد أهلها، وتَقوَّلوا عليهم ما لم يقولوا به»[٤].

خامساً: محمد رشيد رَضا (رحمه الله)، [٥](ت: ١٣٥٤هـ) .

يدافع الإمام محمد رشيد رضا(رحمه الله) عن الصوفيّة فيقول : «وجملة القول في صوفيّة المسلمين: أن علماءَهُم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين استعملوا عقولهم في الدّين من المتكلمين

---

(١) هو العلامة المحقق أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، كان له القدم الرّاسخ في سائر الفنون والمعارف، الفقيه الأصولي المفسر المحدّث، له استنباطات جليلة وفوائد لطيفة مع الصلاح والعفة والورع واتباع السنة، له تأليفات نفيسة اشتملت على تحريرات للقواعد وتحقيقات لمهمات الفوائد منها:»شرح جليل على الخلاصة»، و»الموافقات في الفقه»، و»الاعتصام» و»المجالس» وغيرها. توفي في شعبان سنة :٧٩٠هـ. ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، (ت: ١٣٦٠هـ) علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:١، ٢٠٠٣ م, عدد الأجزاء: ٢ ، ١:٣٣٣ .

(٢) الموافقات الموافقات في أصول الشريعة، لابراهيم بن موسى الغرناطي المعروف بالشاطبي، (ت: ٧٩٠ هـ). شرح وتعليق عبد الله درّاز مطبعة دار المعرفة- بيروت، (د.ت) ، ٤: ٢٣٩.

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) المصدر نفسه.

(٥) كان مفكرا عالما بالحديث والتفسير والتاريخ والأدب، ومن كبار الدُّعاة إلى التجديد والإصلاح في العالم، وصاحب مجلة «المنار». ولد بالقلمون، من أعمال طرابلس الشام ونشأ بها، وتعلم فيها وفي طرابلس وبيروت، سافر إلى مصر سنة: ١٣١٥ هـ ، ولازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. ثم أصدر مجلة «المنار» سنة: ١٨٩٨م لبثِ آرائه وأفكاره في الإصلاح الديني، وله تفسير المنار ولم يكمله. ينظر: عادل نويهض، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر ،قدم له: الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض، بيروت – لبنان، ط: ٣، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء:٢ ، ٢:٥٢٩.

والفقهاء، كل صنف قد انفرد بالتوسع في علمٍ، فجاء فيه بما لم يجيء به غيرُه، وكل منهم أخطأ وأصاب، فالصّوفية أتقنوا علم الأخلاق والآداب الدينيّة وحكم الشريعة وأسرارها، وطُرقِ تزكيةِ النفس وإصلاحها، وهذا غرض الدّين ومقصده، فإن كانوا قد غلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص، ودخل في كتبهم وأعمالهم من تصوف الأمم السالفة ومن البدع ما ينكره الإسلام، فالمتكلمون أيضاً قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها، وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والقياس والأخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١).

وهذا كلام جميل، فإذا تجاوز أحدٌ وخالف أسلافه من العارفين، وخالف أوامر الكتاب والسنة ونواهيهما، او خالف وصايا المشايخ، فهل يُتّهم التصوف والصوفية بفعل هذا وبخطأ ذاك؟ فكما أن الاسلام لا يمكن أن يُتّهَم ويُخَطأ بسبب أخطاء المسلمين فكذلك التصوف.

يقول الشاعر معروف الرصافي (رحمه الله) (٢):

. فإن كان ذنبُ المسلمِ اليومَ جهلهُ .. فماذا عن الإسلام من ذنب المُسلم(٣).

هذه الشخصيات اللآتي أوردنا آراءهم الإيجابيّة تجاه علم التصوّف والصوفية، كانوا جزءً قليلاً من عشرات ومئات العلماء الذين تكلموا عن حقائق التصوف ومدحوا الصوفية، ولا يمكن أن نأتي بآرآء كلهم في هذا المجال الضيق .

---

(١) مجلة المنار، محمد رشيد رضا، (ت: ١٣٥٤هـ) ، عدد الاجزاء:٣٥ مجلد، ٢٢:١٦١.

(٢) هو معروف بن عبد الغني البغدادي الرصافيّ: شاعر العراق في عصره، ومن أعضاء المجمع العلمي العربيّ (بدمشق)، أصله من عشيرة الجبارة في كركوك، أي [كرديا وهم سادة]. ولد ببغداد سنة: ١٢٩٤هـ، ونشأ بها، تتلمذ للإمام محمود شكري الآلوسي زهاء عشر سنوات، واشتغل بالتعليم. ونظم أروع قصائده، في الاجتماع والثورة على الظلم، وقصائد في مدح الحبيب ﷺ، نشأ ومات فقيرا سنة :١٣٦٤ م. له كتب، منها «ديوان الرّصافي. ينظر: الأعلام ، للزركلي، ٧:٢٦٨ .

(٣) كان هذا بيتا من قصيدة طويلة نورد أبياتا منها لمزيد للافادة وهي قوله :» يقولون في الإسلام ظلماً بأنه ... يَصُدّ ذويه عن طريق التقدم، فإن كان ذا حقّاً فكيف تقدّمت ... أوائله في عهدها المتقدم، وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله ... فماذا على الإسلام من جهل مسلم، هل العلمُ في الإسلام إلاّ فريضةٌ ,,, وهل أمةٌ سادت بغير التعلُّم، لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلا ... بصائر أقوام عن المجد نُوَّم «. موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، لعبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان، (ت: ١٤٢٢هـ) ، ط: ٣٠، لسنة: ١٤٢٤ هـ عدد الأجزاء: ٦ أجزاء ، ٥: ٢٧٢.

المطلب الثاني: شهادات أبرز المعاصرين من العلماء في التصوّف وتأثير الصّوفيةِ على العالم الاسلامي.

من الضروريّ جداً أن نتعرّف على أقوال بعض العلماء الذين عاصرناهم أو عاصرَهم مشايخنا وأساتذتنا وننقلها، حتى يتبيّن حقيقة الصوفية للجيل الجديد أكثر ويعلموا بما قام به أسلافنا من مشايخ الصوفية، من نشر الأسلام والدفاع عن المسلمين، ماضين على منهج أهل السنّة والجماعة، شأنهم في ذلك شأن المجاهدين من الصّحابة والتابعين والصالحين (ﷺ أجمعين).

ومن هؤلاء العلماء المشهورين قريبوا العهدِ منّا:

أولاً: الشيخ محمد عَبده، (ﷺ) (ت:١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م) [١].

يمدح الشيخ محمد عبده الصُّوفية وأخلاقَهم الزّكية أنه ممتنٌ لهم فيقول : « لا يوجد في أمة من الأمم من يضاهي الصّوفية في علم الأخلاق وتزكية النفوس، وإنه بِضِعفِ هذه الطبقةِ وزَوالِها فقدنا الدّين، فكل ما أنا فيه من نعمة في ديني، أحمد الله ، فسببها الصوفية» [٢].

ثانياً: بديع الزمان الشيخ سعيد النورسي،(ﷺ) (ت: ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠ م)[٣].

قال الإمام النورسي (ﷺ): « فالذي ليس له حظ من الطريقة، ولم يشرع قلبه بالحركة، من

---

(١) هو الإمام محمد عبده بن حسن خير الله، مفتي الدّيار المصرية، ومن رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ولد بمصر سنة:١٢٦٦هـ ، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر، وتصوف وتفلسف، وكتب في جريدة (الوقائع المصرية) وأجاد اللغة الفرنسية، وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن لمدّة ٣ أشهر، ونفي إلى الشام، وسافر إلى باريس فأصدر مع أستاذه جمال الدّين الأفغانيّ جريدةَ (العُروةِ الوثقى)، وتولى منصب القضاء، ثم الفِتيا في مصر، توفي سنة: ١٣٢٣هـ، ودفن في القاهرة. له تفسير القرآن الكريم لم يتمه، و رسالة التوحيد و رسالة الواردات في الفلسفة والتّصوف، وشرح نهج البلاغة. ينظر: الأعلام ، للزركلي، ٦:٢٥٢.

(٢) الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصُّوفية، ليوسف خطار محمد، مكتبة دار الالباب، دمشق، ط:٢ ، سنة الطبع: ١٩٩٩م ، ص: ٥٦ ، و تاريخ الأستاذ الإمام، محمد رشيد رضا، ص:٩٢٨.

(٣) هو الإمام الزاهد الوَرِع سعيد النورسي بن ميرزا الهزاني البدليسي الشافعي الأشعري الملقب ببديع الزمان، المعروف بمجدد العصر العشرين، ولد سنة: ١٨٧٣م، في أسرة كردية مسلمة في قرية نورس القريبة من بحيرة وان، ألّم بالعلوم الدينية وبجانب كبير من العلوم العقلية وهو ابن ثمانية عشر سنة، وعرف الرّماية والمصارعة وركوب الخيل فضلا عن حفظه القرآن الكريم، عمل مرشدا ومدرساً لمدة ١٥ عاما في مدينة وان، وانتقل إلي إستانبول لتأسيس الجامعة الزهراء. توفى في مدينة أورفة سنة: ١٣٧٩، ١٩٦٠. ينظر: معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، الطبع، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٦ (الأخير فهارس). ١: ٧٣٥.

الصعوبة بمكان - في هذا الوقت - ان يحافظ على نفسه محافظة تامة أمام دسائس الزنادقة الحاليين، ولو كان عالماً مدققاً»[١].

ويتحدّث الأستاذ النورسي ـ بديع الزمان ـ عن مسلك الصوفية في محو الأنانيةِ ـ وبالأخص النقشبنديون منهم ـ ونقش الذكر في القلب فيقول:» اعلم! كما أن الحبّة من بذور الحبوبات ونوى الثمرات إذا ثقبت في قلبها، لاتتكبر بالتَّنَبُّتِ، كذلك حبة «انا» اذا ثُقبت بشعاع ذكر: الله.. الله.. لا تتعاظم تلك الانانية متفرعةً بالانتعاش ومتفرعنةً بالغفلة، ومستحصنةً ومستندةً بآثار النوع، ومبارزةً بالعصيان لجبّار السموات والارض. والأولياء النقشبنديون موفَّقون لفتح حبة القلب وكشف طريقٍ قصير بثقب جبل (انا) وكسر رأس النفس بمثقاب الذكر الخفي. كما ان بالذكر الجهري تُخرّب طاغوت الطبيعة أو تمزَّق..»[٢].

ثالثاً: الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي (رحمه الله)، (ت: ١٤١٩هـ)[٣].

عندما نطالع صفحات التواصل الإجتماعي، نرى كثيراً من الدَروس والمواعظ والمقابلات الشخصية المسجلة والمصوّرة المنشورة للشيخ الشعراوي، حيث يدافع فيها الشيخ المرحوم عن عقيدة الصوفية ومبادئ التصوف، يتحدث عن جواز التوسل والاستمداد والاستغاثة وغيرها من المسائل المعروفة عن الصوفية، مما يدل ذلك على رُسوخه وباعِه الطويل في ميدان التصوّف، وعن دفاعه عن عقيدة السلف الصالح من الأولياء والأعلام من العلماء والأصفياء.

ومما يدل على موقفه الإيجابي تجاه الصوفية أيضاً، أنه عندما سأله الأستاذ علي حسن علي، أن يعرّف له الصوفيّ أجابه (رحمه الله) بقوله: « إن الصوفي هو الذي يتقرب إلى الله بفروض الله، ثم

---

(١) المكتوبات، لبديع الزمان النورسي ، ترجمها: إحسان قاسم الصالحي من اللغة التركية إلى اللغة العربية، قام بطبعها دار «سوزلر» للنشر الطبعة الأولى باللغة العربية بإستانبول سنة: ١٤١٣/ ١٩٩٢م، جـ ٢٧ ص، ٨٠ .

(٢) المثنوي العربي النوري، لبديع الزمان النورسي: تحقيق: إحسان قاسم، قام بطبعها مجتمعة دار «سوزلر» للنشر طبع باللغة العربية بإستانبول،سنة: ١٤١٥/ ١٩٩٥م، ص١٩٧ .

(٣) الامام محمد متولي الشعراوي ولد عام : ١٩١١ م في مصر، وحفظ القرآن الكريم في صباه، وشارك الثورة ضد الاحتلال مع أصدقائه، فسُجِن لمدة شهر، حج وهو طالب عام ١٩٣٨ م، وتخرج في كلية اللغة العربية بالأزهر عام: ١٩٤١ م، وعمل بالسعودية مدرِّساً بكلية الشريعة وعُين مديراً للدّعوة ثمَّ مديراً عاماً ثم وكيلاً لوزارة شئون الأزهر، وأحيل للتقاعد عام: ١٩٧٦، ثم عُين وزيراً للأوقاف وتفرغ للدّعوة بعد ذلك، ورفض ما عرض عليه من المناصب، سافر للدعوة إلى بعض الدّول، منح الدكتوراه الفخرية، أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته النافعة وابرازها تفسيره، توفى عام: ١٩٩٨م. ينظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أعضاء ملتقى أهل الحديث، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com،عدد الصفحات: ٣٧٢، ص: ٣٢٥.

يزيدها بسنة الرسول (ﷺ)، من جنس ما فرض الله، وأن يكون عنده صفاء في استقبال أقضية العبادة، فيكون صافيًا لله، والصفاء: هو كونك تصافي الله فيصافيك الله»[١].

وجواباً عن سؤاله الثاني عن ماهية التصوف؟ قال (رحمه الله):» والتصوف رياضةٌ روحيةٌ؛ لأنها تلزم الإنسان بمنهج تعبدي لله، فوق ما فرضه، وهذه خطوة نحو الودّ مع الله، والله ﷻ يقول في الحديث القدسي :»من أتاني يمشي أتيته (هرولة)»[٢].

ولم يقل سبحانه: جئته أمشي، ولو قالها لكان المشي بالنسبة له شيئًا كبيرًا، فما بالك بهرولة منسوبة لله.، ومن هنا يدخل الإنسان في مقام الودّ مع الله، ومعنى أن يودّه الله: أن يصافيه الرّياضة والمقامات. وهكذا يمنّ تعالى على هؤلاء المتصوّفين ببعض العطاءات التي تثبت لهم أنهم على الطريق الصحيح، وكلما زاد العبد في عبادته، زاده الله في ودّه ولا نستطيع أن نقول: إن هذه الزيادات تصل إلى حد ما؛ لأن عطاء الله ليس له حدود»[٣].

وإذا نظرنا إلي تفسيره وسمعنا إلى مواعظه لرأينا أن الإمام الشعراوي يستخدم كلمة « الصوفي» او» الصوفية» أو «العارفين» مرّاتٍ كثيرة جداً، وما ذلك الا لحبه لهم واعترافه بفضلهم فيقول في تفسيره مثلاً: «في قُوَى البشر نجد التعدد يُثْرِي ويُضخِّم العمل؛ لكن في الألوهية نجد الشرك يُضعِف العمل، ولذلك نجد الصوفي يقول: « اعمل لوجه واحد يكفيك كل الأوجه» [٤].

أو حديثه في مدح الصوفية في تقديرهم للزمن وعدم إضاعتهم للوقت قوله:»حتى إن أحد الصوفية وأهل المعرفة يقول مخاطباً الزمن: يا زمن وفيك كل الزمن» [٥].

---

(١) الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، يوسف خطار محمد، ص:٦٣. و اصول الأصول، للشيخ زكي ابراهيم، ص: ١٧٧.

(٢) الْهَرْوَلَةُ: هي حالة بَيْنَ المَشْي والْعَدْوِ، وَهُو كِنَايَة عَنْ سُرْعَة إجَابة اللَّه تَعالى، وقَبُولِ تَوْبَة العَبْد، ولُطْفه وَرَحْمَته. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير،(ت: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: خمسة، ٥:٢٦١. والحديث أخرجه البخاري برقم: ٧٤٠٥، ومسلم برقم: (٢٦٧٥)

(٣) نفس المصدران السابقان .

(٤) تفسير الشعراوي – الخواطر، للامام محمد متولي الشعراوي، (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٠ ،(د.ت)، ١١:٦٩٥٥ .

(٥) المصدر السابق نفسه : ١٧:١٠١١٦ .

أو استخدامه لكلمة العارف أو العارفين في قوله: « معنى ﴿ومنْ يَقْنُتْ ...﴾ [١].أي: يخضع لله تعالى الخضوع التام، ويخشع ويتذلَّل لله في دعائه، واختار الحق سبحانه القنوت؛ لأنه سبحانه لا يحب من الطائع أنْ يُدِلَّ على الناس بطاعته؛ لذلك يقول العارفون: رُبَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثتْ عِزّاً واستكباراً» [٢].

رابعاً: أبو الحسن علي بن عبد الحي الندوي،(رحمهُ الله) [٣]، (ت: ١٤٢٠هـ).

يتحدّثُ العلاّمة الندوي عن دور التصوّف ورجاله في بعض البلدان الإسلامية، ويشير إلى أنهم بنوا دولةً رُوحيّة داخل دولة مادية فيقول ما ملخصه: وكانت هذه الدّول الروحية مستقلة في إدارتها ونظامها الداخلي، ولنضرب لذلك مثلاً بالمستعمرة الروحية المعروفة بـ «غياث فور»، التي أنشأها الشيخ نظام الدين البداوني الهندي، (ت: ٧٢٥هـ) في عاصمة الهند، وقد عاصر الشيخ ثمانية من الملوك الجبابرة «من (غياثِ الدّين بلبن ٦٦٤ هـ – ٦٨٦ هـ غياثِ الدّين تغلق ٧٢٠ – ٧٢٥هـ)، وحافظت على استقلالها التامِّ من غير أن تَمسّها يدُ الملوك، وقد كانت لهذه المراكز ولأصحابها مهابةً وحشمةً، ما قد يَحسدُهُم عليه الملوك، وما ذاك إلا لإقبال الناس عليهم وخضوعهم للسلطانِ الرُّوحي، فكان السيد آدم البنوري الهندي، (ت: ١٠٥٣هـ) يأكل على مائدته كلّ يومٍ ألفَ شخص، ويمشي في ركابه العلماء وألوف الرّجال، ولما دخل السيد في لاهور عام: ١٠٥٣ م، كان في معيته عشرة آلاف من الأشراف والمشايخ، توجس منه الملك ـ شاهجان ـ خيفة، فأرسل إليه بمبلغ من المال، وقال له: أنت الآن واجب الحج فعليك بالحجاز، فسافر إلى الحرمين فتوفي هناك [٤].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٣١.

(٢) المصدر نفسه، ١٩:١٢٠١٣.

(٣) الندوي: هو عالم رباني وداعية مجاهد وأديب تميّزَ بجمالِ الأسلوب وصِدق الكلمات، إنه الدّاعية الكبير وربانيّ الأمة، صاحب الكتاب الشهير «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» ، ولد ببلاد الهند عام: ١٩١٣م ، بقرية تكية، تخصّصَ في علم التفسير، شارك في تأسيس المجمع العلمي بهند وتأسيس رابطة الأدب الاسلامي، وكان له مشاركات آخرى بالعضوية أو بالرئاسة، بلغ مجموع مؤلفاته وترجماته: ٧٠٠عنواناً، وقد تُرجم بعض منها بخمسة لغات عالمية، توفي يوم الجمعة في رمضان أثناء اعتكافه بمسجد قريتهم سنة: (١٤٢٠هـ)(١٩٩٩م). ينظر: المعجم الجامع في تراجع العلماء المعاصرين، أعضاء ملتقى أهل الحديث، ص: ٣٦.

(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي، (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، طبعة جديدة منقحة ومحققه، عدد الصفحات: ٢٥٧، ص:٢٠٦.

ويمثّل الندوي على شهامَةِ مشايخ التصوّف ودورهم في الإرشاد وكثرت التائبين على أيديهم فيقول: «وهذا الشيخ محمد معصوم، (ت: ١٠٧٩هـ) ابن الشيخ الكبير أحمد السرهندي، قد بايعهُ وتاب على يديهِ تسعمائة ألف من الرّجال.

وهذا الشيخ محمد زبير السرهندي، (ت: ١١٥١هـ)، كان إذا خرج من بيته ألقى له الأغنياء الشيلان والمناديل حتى لا يطأ الأرض، وإذا خرج لعيادة مريض أو لبعض شأنه خرج في ركابه الأغنياء والأمراء، فكان موكباً مثل مواكب الملوك، وهذه أمثلة قليلة لا نقصد منها إلا الاستدلال على ما كان للدين من مكانة وشرف في عيون الناس[١].

وفي بحث له ألقاه في إحدى المناسبات باسم: (الصوفية في الهند وتأثيرهم في المجتمع)، قال الندوي (رحمه الله): «إن هؤلاء الصّوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة النبوية، والتوبة عن المعاصي وطاعة الله ورسوله، ويحذرونهم من الفحشاء والمنكر والأخلاق السيئة والظلم ...الخ» ثم اختتم بحثه بقوله:

« لقد كان بجهود هؤلاء الصّوفية أشجارٌ كثيرةٌ وارفةُ الظِلالِ في مئاتٍ من بلاد الهند، استراحت في ظلها القوافلُ التائِهةُ والمسافرونَ المتعَبون، ورجعوا بنشاط جديد...إلخ» [٢] .

خامساً: علامة العراق الشيخ محمد عبدالكريم المدرّس.(ت: ٢٠٠٥م)[٣].

كان الشيخ المدرس مع كونه علامة العراق بل العالم الإسلامي في عصره، ومع تبحره في العلوم، كان مريداً للشيخ علاء الدين ابن حضرة الشيخ ضياء الدين النقشبندي، ولما توفي مرشده ـ الشيخ علاء الدين ـ أخذ البيعة من نجله الأكبر الشيخ عثمان سراج الدين.

ولقد قال حَضرَة علاءالدِّين في حقه: لَقَد توَجَّهنا إِلَيهِ ثلاثُ تَوجُّهاتٍ مَعنَويّة أَوَّلُها بنِيَةِ طولِ العُمُرِ، وثانيها بنيَّةِ كثرَةِ العِلمِ، وثالِثُها بِنيَّةِ التَّوفيقِ ولقَد قِبلَ اللّه تعالَى دُعائي وَتوَجُّهاتي،ولَولا أَنِّي أَعرِفُ أَنَّهُ يَخدِمُ الإسلامَ والشَّريعَة الغَرَاء لَسَحَبتُ تَوجُّهاتي منهُ [٤].

(١) المصدر السابق نفسه، ص: ٢٠٧.

(٢) الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة، يوسف السيد هاشم الرّفاعي، الكويت،(د.ت) ص: ٦٩ ـ ٦٨.

(٣) هو الشيخ عبدالكريم بن محمد بن عبدالفتاح بن سليمان بن مصطفى الملقب بالمدرّس ولد سنة ١٣١٨هـ، بدأ بدراسة العلوم وهو ابن خمس سنوات وبعد نيله للإجازة العلمية صار مدرسا في مدرسة بيارة وبقي فيها لمدة ٢٥ عاما، ثم انتقل إلى بغداد وسكن حجرة الحضرة الكيلانية،واسند اليه الافتاء/ الى وفاته عام ٢٠٠٥ م، ينظر: علماءنا في خدمة العلم والدين للشيخ عبدالكريم محمد المدرس، دار الحرية بغداد،سنة :١٩٨٣، ص:٣٢٤.

(٤) ينظر: خلوة السَّالِكين وبَهجَةُ المُتَّقين في حَياة حضرَة قطب العارِفين الشَّيخ محمَّد علاءالدِّين النَّقشبَنْدِيِّ العُثماني، للشيخ محسن الشيخ خالد المفتي، مطبعة أربيل ، ٢٠٢٠ م _١٤٤١، عدد الاجزاء ٢ . ٣٨٤/١.

وكان (رحمه الله) يوصي طلاب العلم بتعلم الشريعة الإسلاميّة والتمسك بآداب الطريقة، والسير على منهاج الصالحين، وبصحبةِ الصالحين، وحضور مجالس الذكر، وحضور مجالس المولد النبوي الشريف، وممنا نُشر في بعض القنوات الفضائية وفي شبكات التواصل الإجتماعي وصيته المشهورة المسجلة، حيث يبدي فيها موقفه تجاه علم الأخلاق والتصوّف، فيوصي الشباب وطلبة العلم ويقول لهم : إذا لم تجدوا مرشداً كاملاً في هذا الزمان، فعليكم كثرة الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)، وبمطالعة كتُب التصوف والعرفان مثل كتاب: عوارف المعارف للإمام السهروردي، وقوت القلوب لابي طالب المكي، واحياء علوم الدّين للإمام الغزالي.

ولقد سمعناه (رحمه الله) يبدي وفائه لمرشده مراراً ويقول: كل ما أنا فيه من الجاه والعلم كان بسبب توجهٍ من حضرة الشيخ علاء الدين، حيث إني قد شكوت إليه عدم استطاعتي على تدريس الطلبة الأذكياء، وطلبت من جنابه أن يعفيني من التدريس، فقال (قدس سرّه): هل أنت من وضعت نفسك مدّرسا هنا أم نحن الذين جئنا بك لتدرّس ؟ قلت مولاي إنما جئت طائعاً وملبياً لأمركم، قال إذاً لاعليك، الله كريم. وفي الليل أثناء الختمة الشريفة، قام من الحلقة وأتي إليّ وضرب صدري بطرف عباءته، فاحسست بنور وبركة في صدري، ومن ذلك الوقت لم أنس شيئا ممّا حفظته من العلوم أو سمعته ببركة الشيخ علاء الدين وتوجهه[1].

وقد مدح الشيخ المدرس مرشده ـ الشيخ محمد عثمان سراج الدين ـ بقصيدة راقية اخترت منها:

يانامياً في دوحةِ الاحسانِ وحاميا للوحةِ العرفانِ
ومن يُشيرهُ عُلا البَنانِ من حيث ذا قد فاقَ في الزمانِ
نفسي أنا في شأنكم ذو حيلة عليلةٌ عليلة عليلةٌ
أعداءُ أقدارِكم الجليلة ذليلةٌ ذليلةٌ ذليلةٌ
أسألكم مسألة جليلة تكون لي وسيلةً وسيلة
ونفس أهل الصدق في صدقي لكم و كيلةٌ وكيلة وكيلة
وختم سؤلتي بدون حيلة دعوا دوامكم مع الجميلة [2].

(١) عندما كنّا ندرس عنده في أواخر الثمانينات، سمعت منه هذه القصة الكلام أكثر من مرّتين، وكان (رحمه الله) يحدثنا كثيراً عن الأولياء والصالحين الذين صاحبهم واستفاد من علومهم وبركاتهم أمثال: مشايخ بيارة وشيوخه .

(٢) سراج القلوب، للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي، (رئيس الطريقة النقبندية)،ط:٢، اسطنبول، سنة الطبع:٢٠٠٩ م، ص: ٣٠.

وفي تقريضه الذي كتبه لكتاب «سراج القلوب» لمرشده حضرة الشيخ عثمان سراج الدين يتبين مدى اهتمام الشيخ المدرّس بالتصوف، وبتقديره للكتاب ومؤلفه حيث جاء فيه:» فسراج القلوب كتاب يشهدُه المقربون، هدية إلى المعذبين اللاهثين وراء سراب السعادة بغير الدّين، والتقدم بغير الأخلاق، والحضارة بدون التاريخ، والثقافة بدون التراث، والسلام بغير النظام، فهو شفاء لما في الصدور، وجلاء لصدأ القلوب، فحين يقتبس السراج نور الشمعة، فكلّ من رآه رأى الشمعة يقينا، ولو انتقل النور على هذا النحو مائة سراج، فرؤية آخر سراجٍ ملاقاةٌ للأصل...» [1].

(١) المصدر السابق، ص:٢٩.

الخاتمة

وختاما نقول: نستنتج مما أسلفنا إنَّ الخوض في مجال هذه الدِّراسات يُمدّنا بمعلومات قيّمة جداً، فالحديث عن آراء الفقهاء وأئمة المذاهب عن التصوف والصوفية، وفي العصور المتتالية منذ نشأته وحتى عصرنا الحاضر، يمدّنا بكثير من المعلومات التى لايعرفها كثير من شبابنا من طلبة العلم فضلاً عن العامّة. فبما أننا نعيش في عصر الفتن، وهناك الكثير من الجهلاء العملاء الذين يقلبون المعلومات، ويفترون على العلماء ويلفقون بهتاناً وزوراً، ويتقوّلون عليهم بما لم يقولوا به، يتهمون أهل التوحيد والإخلاص ـ الذين لا يمضي يوم وليلة إلا وهم يردّدون كلمة التوحيد مئات المرّات علاوة على الإستغفار والتسبيحات والأذكار والصلواة ـ بأنهم مشركون وقبوريون، من غير أن يدرسوا منهجهم أو يقرؤا سيرة الأولياء والصالحين.

وتبيين لنا أيضاً أنّه لا يعرف قدر العلماء والحكماء والمشايخ والأولياء، إلا من مرَّ ببرزخ البحث والدراسة والتعمق والتحقيق، وقرأ شيئا من أقوال الأكابر في مدح الأكابر، ومن المعلوم أنه لايعرف قدر الذهب أحد مثل الصائغ.

لذلك نوصي أهل العلم من زملائنا المعاصرين أن يقوموا بدراسة هذه المواضيع المهمة، حتى يتبيّن الرّشد من الغي أكثر فأكثر، بيحث لايستطيع أهل البدع والضلال أن يُضلّلوا الناس ويبعدوهم عن ـ الصراط المسنقيم ـ ، طريق الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين.

ونوصيهم أيضاً أن يقوموا بدراسة حياة العلماء والعارفين المشهورين منهم والمغمورين في بلداننا الإسلامية، الذين لم تُدرَس حياتُهم وسيرتُهم أكاديمياً، حتى وإن كانت الدراسة تشمل جانبا واحداً من حياتهم، وذلك من أجل مزيد الإفادة والاستفادة. ونوصيهم أيضا بالتثبّت مما ينقلونها، لتكون البحوث والرسائل علميّة وموضوعية .

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدّمشقي، (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين ، ط: ١٥، لسنة : ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء : ٩ .
٣. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للامام فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين الرّازي، تحقيق: علي سامي النّشار، دار الكتب العلمية – بيروت ، سنة الطبع : ١٤٠٢هـ .
٤. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ .
٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، المكتبة العصرية - لبنان ـ صيدا، عدد الأجزاء: ٢.
٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ) المكتبة التوفيقية، عدد الأجزاء: ٣٧ .
٧. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي – بيروت، - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٦.
٨. تذكرة أولي النُّهى والعرفان بأيام الله الواحد الدّيان وذكر حوادث الزمان، لإبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية ، ط:١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م , عدد الأجزاء: ٨ .
٩. تذكرة الحفاظ، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م ، عدد الأجزاء: ٤.
١٠ تفسير الشعراوي – الخواطر، للامام محمد متولي الشعراوي، (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٠ ، (د.ت).
١١ تلبيس إبليس، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، دار الفكر، بيروت ـ ٢٠٠١ م .

١٢ تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، الشيخ محمد أمين فتح الله الكردي الأربيلي، (ت: ١٣٣٢هـ)، ترتيب: محمد رياض، دار الكتب العلمية، لبنان، سنة: ١٩٩٥ م .

١٣ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة - بجوار محافظة مصر، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، عدد الأجزاء: ١٠ .

١٤ خلوة السَّالِكين وبَهجَةُ المُتَّقين في حَياة حضرَة قطب العارِفين الشَّيخ محمَّد علاءالدِّين النَّقشبَنْدِيِّ العُثماني، للشيخ محسن الشيخ خالد المفتي، مطبعة أربيل ، ٢٠٢٠ م _١٤٤١، عدد الاجزاء ٢ .

١٥ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (١ ـ ٥). تحقيق محمد سيد جادّ الحقّ، القاهرة ١٩٦٦م / ١٣٨٥هـ.

١٦ الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، لمحمدِ بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي، (ت: ١٠٨٨هـ) تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، سنة الطبع، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢ م .

١٧ ديوان الإمام الشافعي، للإمام محمد بن ادريس الشافعي القريشي، مطبعة بغداد، سنة الطبع: ١٩٩٥م.

١٨ رَدّ المحتار على الدرّ المختار، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، (ت: ١٢٥٢هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، دار الفكر - بيروت، ط: ٢، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م، عدد الأجزاء: ٦.

١٩ سراج القلوب، للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي، (رئيس الطريقة النقبندية)،ط:٢، اسطنبول، سنة الطبع:٢٠٠٩ م .

٢٠ سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، (د.ت)، عدد الأجزاء: ٢ .

٢١ سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، (ت: ٧٤٨ هـ)، (دار الحديث- القاهرة)، سنة الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، والنسحة الثانية حققها مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٢٢ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم

مخلوف، (ت: ١٣٦٠هـ) علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م, عدد الأجزاء: ٢ .

٢٣ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط, دار ابن كثير، دمشق – بيروت ، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ،عدد الأجزاء: ١١ .

٢٤ شرح عين العلم وزين الحلم ، للأمام مُلا علي قاري، اسم المكتبة: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، رقم الحفظ: ١١٠٣٣.

٢٥ شرح فتح القدير، للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي الحنفي المصري الإسكندراني، (ت: ٦٨١ هـ) بن الهمام، ط ٢، دار الفكر، بيروت،(د.ت).

٢٦ الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة، يوسف السيد هاشم الرّفاعي، الكويت،(د.ت).

٢٧ طبقات الشافعية، لعثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح، (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر – بيروت، سنة ، ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٢.

٢٨ الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، (ت: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٨ .

٢٩ طبقات المفسرين محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، (ت: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: باشراف لجنة من العلماء، عدد الأجزاء: ٢.

٣٠ طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١ هـ)، الدار السلفية، القاهرة، مصر، ط: ٢، سنة: ١٣٩٤ هـ .

٣١ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو, هجر للطباعة، ط:٢ ، ١٤١٣هـ, عدد الأجزاء: ١٠.

٣٢ طبقات الفقهاء، لأبي اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، (ت: ٤٧٦هـ) ، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، (ت: ٧١١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ، سنة الطبع : ١٩٧٠م .

٣٣ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، (ت: ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط: ٢، سنة الطبع: ١٩٧٧م.

٣٤ الفجر الصادق، جميل صدقي الزهاوي، مطبعة وقف الإخلاص، تركيا ـ اسطنبول، سنة الطبع: ١٩٩٥م.

٣٥ قواعد التصوّف وشواهد التعرّف، لابي العباس أحمد زرّوق الفاسي، (٨٤٦ ـ ٨٩٩هـ) ،تحقيق: نزار حمّادي, دار الضياء ـ الكويت, طبعة ٢، سنة ، ٢٠٢٠ م.

٣٦ كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني المتوفى سنة: ١١٦٢ هـ، تحقيق أحمد القلاش، طبع مطبعة الفنون، حلب، (د. ت).

٣٧ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي، (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، طبعة محققه، عدد الصفحات: ٢٥٧.

٣٨ المثنوي العربي النوري، لبديع الزمان النورسي: تحقيق إحسان قاسم وقام بطبعها مجتمعة دار «سوزلر» للنشر طبع باللغة العربية بإستانبول،سنة: ١٤١٥/ ١٩٩٥م .

٣٩ معيد النعيم ومبيد النقم، للإمام تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، دار صادر، بيروت، (د.ت) .

٤٠ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيّم الجوزية، (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢ .

٤١ مجلة المنار، محمد رشيد رضا، (ت: ١٣٥٤هـ) ، عدد الاجزاء:٣٥ .

٤٢ مجموع الفتاوى، لتقي الدّين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٤٣ المستطرف في كل فن مستطرف، لأبي الفتخ شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي، (ت: ٨٥٢هـ)، عالم الكتب – بيروت، سنة : ١٤١٩ هـ، عدد الصفحات: ٥٢٢ .

٤٤ معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)،علي

الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، الطبع، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٦ (الأخير فهارس).

٤٥ المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أعضاء ملتقى أهل الحديث، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث، عدد الصفحات: ٣٧٢.

٤٦ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة بن محمد راغب بن عبد الغني، (ت: ١٤٠٨ هـ)، (دار إحياء التراث العربي . بيروت) سنة الطبع، ١٩٥٧، عدد الأجزاء: ١٥.

٤٧ معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر ،قدم له: الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض، بيروت ، ط: ٣، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢ .

٤٨ مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول التصوف، للإمام شرف الدين ابوزكريا يخيى النووي،(ت: ٦٧٦هـ)، المطبعة الأهلية، بيروت ، سنة الطبع: ١٣٢٤هـ.

٤٩ المكتوبات، لبديع الزمان النورسي ، ترجمها إحسان قاسم الصالحي من اللغة التركية إلى اللغة العربية، قام بطبعها دار»سوزلر» طبع باللغة العربية بإستانبول سنة: ١٤١٣/ ١٩٩٢م.

٥٠ مناقب الشافعي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث – القاهرة ، ١٩٧٠م، عدد الأجزاء: ٢ .

٥١ مناهج المفسرين، لمنيع بن عبدالحميد، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبنانى – بيروت، عام النشر: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٢ المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب الحديثة، مصر(د. ت).

٥٣ المنن الكبرى أو لطائف المنن والأخلاق، لأبي المواهب أحمد بن علي عبد الوهاب الشعراني، (ت:٩٧٣هـ)، خرج احاديثه: سلم مصطفى البدري, دار الكتب العلمي، بيروت، محمد علي بيضون، (د.ت).

٥٤ موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، لعبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان، (ت: ١٤٢٢هـ) ، ط: ٣٠، لسنة: ١٤٢٤ هـ عدد الأجزاء: ٦ .

٥٥ الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، ليوسف خطار محمد، مكتبة دار الالباب . دمشق، ط:٢ ، سنة الطبع: ١٩٩٩م .

٥٦ نزهة المجالس ومنتخب النفائس، لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، (ت: ٨٩٤هـ)،

المطبعه الكاستلية – مصر، عام النشر: ١٢٨٣هـ ، عدد الأجزاء: ٢.

٥٧ النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير،(ت: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.